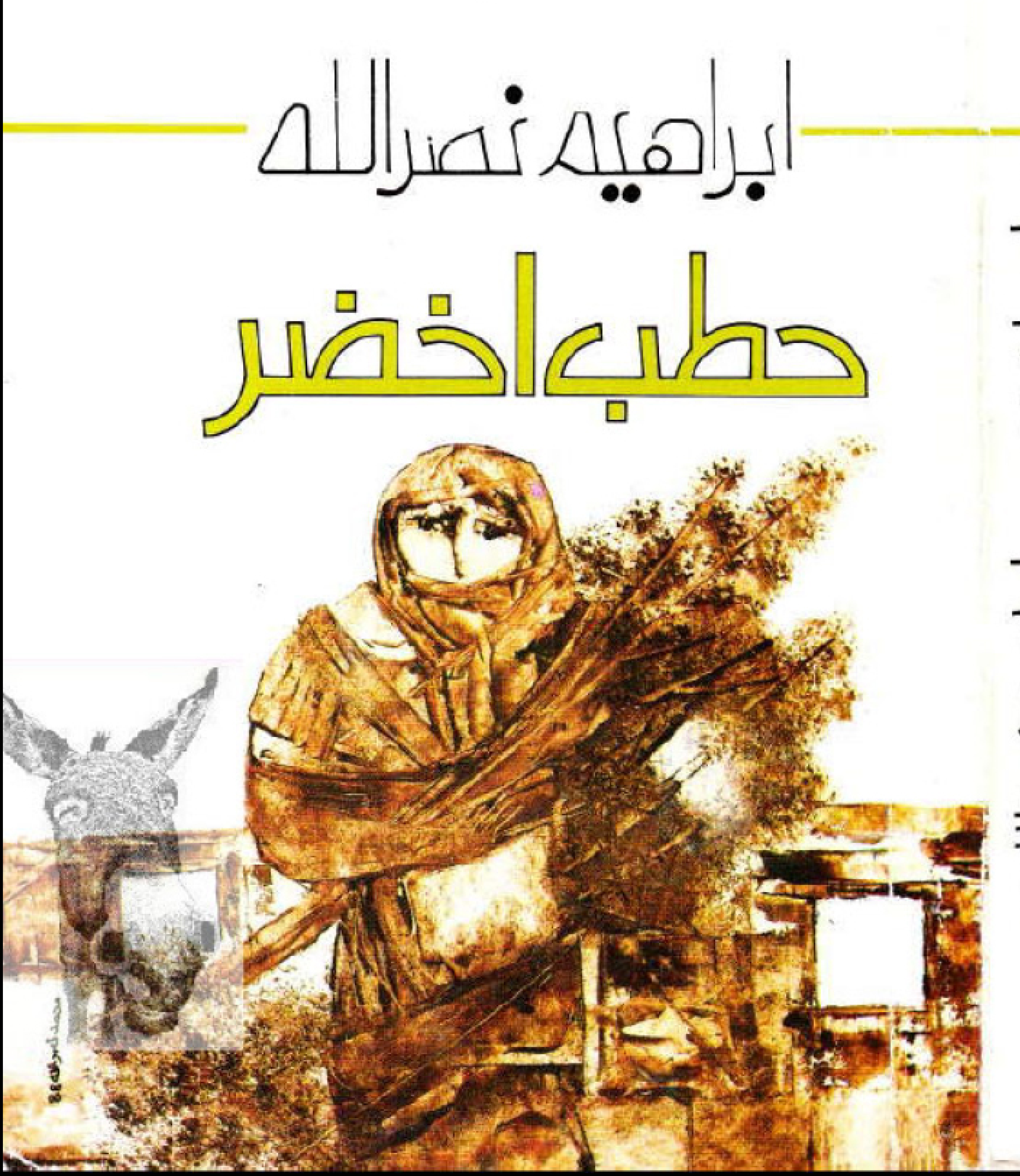
ابراهيم نصرالله

حطب اخضر



حطب اخضر
ابراهيم نصرالله

● ابراهيم نصرالله: حطب اخضر

● الناشر دار الشروق للنشر والتوزيع
ص.ب ٩٢٦٤٦٣
هاتف ٦٢٤٣٢١ تلكس ٢٣٥٥٧ يونيتور
عمان - الاردن

٩ و /٤ ٨
ابراهيم نصرالله
حطب اخضر - ابراهيم نصرالله - عمان
دار الشروق، ١٩٩١
((٢٠٨)) ص
ر. ا (٤١٢/٨/١٩٩١)
ا الشعر العربي - العصر الحديث
تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية

كتبت هذه القصائد بين عامي ١٩٨٧ و ١٩٩١

ابراهيم نصرالله

حطب اخضر

لوحة الغلاف والرسوم الداخلية

للفنان محمد نصرالله

يطيبُ لنا أن نسوقَ الشوارعَ
مثلَ قطيعِ الوعولْ
وندفعَهَا بعصا الشَّغبِ الحلوِ
نحوَ السهولْ
يطيبُ لنا أن نُطاولَ نجماً
لنقطفَهُ
ونُزيِّنَ مبتهجينِ بهِ سيداتِ النحولْ
يطيبُ لنا أن نُراوغَ ساعاتنا
والوظيفةَ..

زوجاتِنا..
دورةَ الوقتِ والصمتِ. عرضاً وطولْ
يطيبُ لنا
أن نهزّ السكونَ وقاماتِنا
ونبعثَ للعشقِ ألفَ رسولْ
يطيبُ لنا أن نشمّرَ عن روحِنا
ونخوضَ في رنّةِ العود
فيما تقولُ لنا نايٌ وتقولُ طبولْ
يطيبُ لنا أن نخاصرَ
في آخرِ الليلِ سيدةً..
ونُغرزَ بالوردِ حتى يبوحَ لنا فَرِحاً
بالندى والفصولْ
يطيبُ لنا أن نُعانقَ غصناً
مضى في الذبولْ

نردّ على ضلعهِ عُرْسَنا
ويطيبُ لنا أن نرى ما يُرى..
آن نرى ونقولْ
يطيبُ لنا ان نعودَ صغاراً
ونشهدَ ميلادَنا في الحقولْ
يطيبُ لنا أن نُحصِّنَ أطفالَنا بالزنابقِ
لا بالرماحِ ولا بالنُّصولْ
يطيب لنا أن نغني:
يطيبُ
يطيبُ الرحيلُ
يطيبُ النزولْ
ولكّنها مدنٌ مقفلهْ
شمسُها مقصلةٌ
وأبتساماتُها في العروقِ وُحُولْ

مطـــــاردة

تطاردني الريحُ عبرَ الممراتِ..
عبر خطايَ هنا..
في الأزقةِ..
أو في السماء؟
يطاردني الزَّبَدُ المتطايرُ.. عبَر الجبالِ..
وبينَ كرومِ الدوالي..
وفي خُضْرةِ اللوزِ..
في موقدِ الجمرِ..
في بهجةِ الكستناء..

يطاردني الثلجُ بين القصائدِ..
بينَ ذراعيًّ سيدةٍ
عَمَّرَتْ قامتي..
ثم أَعْلَتْ ترابي..
لكي لا تراني طيورُ الفَنَاءْ
تطاردني في دمي الصَحَراءُ..
.. لتشربني
ويطاردني الرقباءْ
لأزرعَ عوراتِهم في فضائي..
ونقتسمَ الشمسَ ما بيننا وأعالي الغناءْ
يطاردني الرَّملُ حتى أكونَ جداراً..
ويبصرَ أحلامَهُ في سكوني..
يطاردني في اندفاعي الوراءْ
تطاردني أُمسياتُ الخُوار..

طلاءُ ممراتِ هذي البنايات
مُزدانةٌ بقرونِ الخلباء
يطاردني الصِّبْيَةُ اللزجونَ..
براءتُهم..
ورصانةُ ضحْكاتهمْ
وصقيعُ نساءٍ تصببَ عبرَ أحاديثهنَّ
وفَرَّخَ فوقَ أسرتهنَّ الحلالُ - البغاء
تطاردني دورةُ الوقتِ في جثثِ الأصدقاء
وتدفعني جثةٌ نحوَ موتي
لتحتلَّ شيطنَتي.. ومدايَ..
وتحتلَّني
وهي تَنْحَلُ في بُرْدَةِ الحُكَماء!!



الخروج الثاني

كانَ يبحثُ عن قدميهِ لينهضَ
عن وجههِ ليسيرْ
غَزَلْنا له ما يشاءُ
وقلنا: لكَ الارضُ واسعةٌ.. فليكنْ
لكَ في الريحِ والاغنياتِ
وزيتونةِ التلِّ
بحرٌ كبيرْ
وخُذْ من مدى الروحِ ما تشتهي:

صهوةً
وصهيلاً
وشمساً
وأجنحة للمسيرْ.
وخذْ أزرقَ الأُفْقِ
خذْ خُضرةَ السهلِ
خذْ نَهدةَ الريحِ
سيفَ العواصفِ في شجرٍ ذابلٍ وحريرْ
وخذْ مشهدَ العُرسِ
هذا العناقَ الجنونيَّ بينَ نشيدينِ
او كوكبينِ
وخَوِّضْ هنا وهنالكَ في الحبِّ
حتى تطيرْ
ولا تتركِ الصخرَ خَلْفَكَ

لا تتركِ النـ[illegible]

لا تتركِ الوردَ

والغابةَ المطمئنةَ..

إني تعبتُ فَخُذْ ساعدي

ولتكنْ أنتَ صوتي الذي

سأُصَهِّلُهُ بالنفير

★ ★

قلتُ نمْ أيها الآدميُّ..

أمامكَ عمرٌ طويلٌ..

وهبتكَ ما لم أهبْ لدمٍ في الخليقةِ

ثمَّ خلعتُ يدَ الموتِ ـ كي لا تطالكَ ـ

من جذرها..

يا بنيَّ الصغير!

★ ★

ها أشرق الصُّبحُ
قمْ.. عَلِّمِ الصخرَ كيفَ يرى
واعطهِ من جناحِكَ أُفْقَاً
وقمْ علِّم الماء كيف يُحبُّ
وهذي السواحلَ كيفَ تسير

★ ★

ها أنت تصحو
تمدُّ جناحَكَ تبحثُ بين المدى والسريرْ
وتنهضُ منطفئاً
تتلمسُ أغنيتي بعصاكَ!!
وزيتونتي ببقايا النُّعاسِ!!
وتتبعُ أمنيتي بالصفيرْ!!
فلتخرجِ الانَ من ملكوتيَ ثانيةً
إنما نحوَ قبركَ!

لا فرقَ بين النهارِ
وبينَ الظلامِ هنا.. فيكَ
يا أيهذا الضرير

امنيـــــــــة

ما على الفجرِ لو زارنا
واستراحَ على يَدِنا
ما على الزهرِ لو صارَ شارعَنا وقصائدَنا
ما على الشمسِ
لو أصبحتْ سِرَّنا
ما على الشيخِ لو أشعلتْ
حكمةُ القلبِ فيهِ أصابعَنَا
واضاءتْ ذوائبهُ قلبَنا

ما على آمرأةٍ أوقدتْ روحَنا
ذاتَ يومٍ صقيعٍ
ومرتْ بناً الانَ
لو صدفةً
آهِ مرتْ بنا!!

مراوغة (١)

أنتِ لم تعلمي بَعدُ
ان الاغاني تدورُ
وحينَ تعودُ الى بيتها
لا تجدْ
غيرَ صدري
وان الطيورَ تغني
وحينِ يعمُّ الظلامُ
تحطُّ بحزن على ساعديَّ

وفي آخرِ الليلِ تُدركُ سري
انت لم تعلمي.. ان هذي الحقولَ
التي تركضُ الانَ اشجارُها في الفضاءِ
وتعلو
بأني أُجمِّعُها كالصغارِ
تنامُ
هنا
ثم تصحو صباحاً وتسرق شِعري
أنت لم تعلمي
ان روحيَ هائمةٌ كالمدى
بينَ مدي وجَزْري
انني آخر الليلِ يأخذني فرحٌ قاتلٌ
تعبٌ فاجرٌ
فَتَسْكَرُ بي أُغنياتي وخمري

أنتِ لم تعلمي انني جارحٌ كجناحٍ
وأغنيةٍ
شاردٌ
ساكنٌ
انني منذ جئتُ إلى العالمِ الرحبِ
أحيا هنا.. وهنا.. وهنالكَ
خارجَ عمري
أنتِ لم تعلمي
إنني راحلٌ كالصدى
ومقيمٌ كظلٍّ
ومنتشرٌ.. لأُضللَ قبري!!

مراوغة (٢)

أُعدُّ لكِ الآنَ الفَ حصانٍ
والفَ سببْ
لكي نلتقي في مساء الأحدْ
أعدُّ شموساً لهذي الشفاهِ
التي ايقظتْ شهوةً وعنبْ
وساقتْ زهورَ الحدائقِ
نحوَ صحارى الجسدْ
أعد نهاري

أسوقُ اليكِ قطيعَ السُّحبْ
واتركهُ ناعماً يغسلُ الروحَ
من جَزْرِ أعراسِنا.. والزبَدْ
أعدّ لكِ الان سقفاً.. سريراً..
ذراعينِ من حنطةٍ.. ولهَبْ
وخاتمَ عُرس
وسرباً من الصِّبْيَةِ الأشقياءِ
لكيْ أبتعدْ!!!!

ما لم يقله يوليوس قيصر

أصدقائيَ عمتمْ مساءً
دقائقَ ثمَّ اشقُّ عباءةَ هذا الظلامِ وأمضي
دقائقَ ثم أعودُ الى منزلي
لأُفتشَ عما تبقَّى من الأمسِ
عما يُجمِّعُ روحي لأنسى ملامحَكُمْ
وأقارعَ في غفوتــي مَقْتَلي
دقائقَ ثم أعود الى منزلي
وأنامُ هنالكَ كالبردِ وحدي

قَطعْنَا مساء طويلاً لنبلغَ منتصفَ الليلِ
عمتمْ مساءً
قرأنا كثيراً من الشِّعرِ
حتى انطفأنا
شربنا الكثيرَ
الى ان رجعنَا الى أصلنا
عنباً وترابا
وأشرعَ كلُّ وريدٍ مدىً
فأنتشرنا أمامَ العيونِ كتابا
اصدقائيَ عمتمْ مساءً
سأرفعُ عن يومِكم أغنياتي
وأذهبُ في ظُلمةِ الليل نحوَ دمي
لأخُطَّ جهاتي
اصدقائيَ لا بأسَ

لا تسمعوني
شربنا كثيراً
تعبنا كثيراً
.. عبرتْ روحُنا فَحْمَها
وتجلًّى الغموضُ
وها انني أتصفح أعينَكُمْ ويديكمْ
وأسألُ ماذا أعدت أصابعُكمْ
من خناجرَ لي؟!
أصدقائيْ..
بيَ الان صوتٌ يشقُّ دمائي
ويصرخُ:
من سوفَ يتبعني ذا المساء
إلى منزلي
اصدقائيَ من منكمُ قاتلي؟؟
أصدقائيَ من منكمُ قاتلي؟؟

دعــوة خاصــة

كانتْ بحورُ الصمتِ تجري في المدى
محفوفةً بجثتي
وغيمةً في الغبارِ كانَ منزلي
الشوارعُ انطفاءَ حُلْمٍ جامحٍ
والليلُ وجهَ صاحبٍ مُوَزَّعٍ في صمتهِ ورزقهِ
وكانت الأشجارُ ضدَّ لونها
والريحُ ضدَّ صهوةِ الغناءِ
والعصفورُ في الفضاء نقطةً

وفي الكلامِ فاصلهْ
وكانتْ السماءُ قاحلهْ!
كنتُ أغتسلتُ بالانهارِ والنباتِ بعدَ مَقتَلِيْ
وحينما تأخروا
اندفعتُ نحوَ موجةٍ في البالِ واقتطعتُ
أغنيةْ
رددتُها ليلينِ كاملينِ حتى هَزُلَتْ
وانفرطتْ كسَاريةْ
وحينما تأخروا
التفتُ كالجهاتِ نحوَ عتمةِ الجهاتِ
وانكسارِ الروحِ في طوقِ الزهورِ
والخشبْ
وقلتُ: يلحقونني في الدربْ
كان الطريقُ موحشاً

وقمري ممزقاً كجسدي
ولم يكن هذا زمانُ الحربْ

....

جنازتي تسيرُ وحدَها
.. مدفوعةً بقوةِ الظلامِ نحوَ قبرها
سمعتُه يسألُ: أينَهُمْ
عرفتُهُ بثوبهِ.. بخوفهِ
بوجههِ الأزرقِ
بالدماء فوقَ ياقةِ القميصِ
بالرصاصِ داخلي
عرفتهُ.. عرفتهُ
لكنهمْ تأخروا...
فقلتُ: أدعو قاتلي

انـــــدفاع

سأفتحُ نافذتي في الصباحِ
وأتلو القصيدةَ.. أُطلقُها
مثلما تبدأ الشمسُ رحلتَها
والطيورُ أناشيدَها
مثلما تضربُ الموجةُ الصخرَ
أو يفلتُ القلبُ من صدرِ عاشقةٍ
وسأمتدُّ كالغصنِ
أتبعُ خُضرةَ هذا الربيعِ الجنونيِّ

في أعين الفتياتْ
وأرتاح.. أتعبُ.. لا ظلَّ لي غير ظلٍّ جناحي،
ولا
أرضَ لي غير ما أمسكتْهُ يدي من مدى
أُغني كثيراً، وأكسرُ أُغنيتي فَرِحاً..
والملم ثانيةً أضلعي وفُتاتَ الصدى
وابدأ ثانيةً وأسيُر... أَخبُّ كأني مساءُ
وطينٌ،
كأني زقاقٌ طويلٌ مضى في مساء طويلٍ،
واقفز كالنَّمر الاستوائيِّ صوبَ النُّعاسْ
سأُشرِعُ نافذتي ودمي وأعبُّ الأغاني
فقد أطلقتْ خمرتي نُدمائي
وها إنني البردُ في آخر الكاسِ
ها انني البردُ في آخرِ الكاسْ..

سأعدو
وأعدو. واتركُ خلفي جليدَ التلالِ
واطوي سهولاً وارقصُ أوقظ الفَ حديقةْ
وأتبعُ آثار روحي بعيداً
إلى آخرِ الروحِ
حتى الحَقيقةْ

مكاشفــــــــة

وماذا تريدُ الصديقةُ من طائرٍ
حطَّ فوقَ الغصونِ كَحُلْمٍ
وبينَ أصابعهِ ارتعشتْ شَمسُهُ والشجرْ
وماذا يريدُ البشر؟!
ان ينامَ على كفِّهمْ
ان يُؤاخي السَّكيْنَةَ
أن ينحني.. ثم يمشي على صوتِـهِ
والجناحِ..

وان يعبَر البابَ
يأخذ مقعَدهُ
ولداً طيِّعاً ومطيعاً.. وأن يغسلَ الروحَ في
المغسلةْ؟!
وماذا يريدونَ..
ان يحملَ الصحفَ المطمئنةَ في حبرها
ويُمشِّطِ اوقاتهمْ من رتابتها
أن يكونَ الأنيسَ الظريفَ.. ووحشتهُ
مقصلةْ؟
وماذا يريدونَ
أن يصعدَ الدرجاتِ رشيقاً
ويمشي على الحبلِ كالبهلوانِ
ويجثو على حُلْمِهِ
ثم يَطْرُقُ ماضيهِ.. يطهو الأغاني..

ويبتلع الهداةَ الذابلةْ؟
وماذا يريدونَ
أن ينتحي في المساء
وأن يسرُدَ الأُفْقَ في قصصٍ تجلبُ النومَ
للقلبِ
والعائلةْ؟
وماذا يريدونَ:
ان ينحني آخر الليلِ صمتاً
ويضربَ منقارَهُ بالجناحِ ..
وأن يجدَ الحلَّ للمشكلةْ
وماذا يريدونَ؟
ماذا يريدونَ؟
ماذا تُريدْ
سوى أن يفاجئهْم في الصباحِ
ويغمرَ أرواحَهْم بالنشيدْ



العشاء الاخير

أُناديكِ.. هيّا
انادي فساتينكِ البيضَ
هذا الحفيفَ البسيطَ لأحلامِ عينيكِ
فوقَ الرصيفْ
أنادي جيادَكِ
انهارَكِ
السَّمكَ الطائرَ
الشرفاتِ التي لم تُطلَّ علينا

لتنتشرَ ازهارَها
الأصدقاءَ الذينَ استباحوا قصيدتَنا
وأُنادي
انادي خطى الياسمينةِ فينا
انادي الطيورَ التي سحبتْ
عرسَها
والرياحَ التي طعنتْ خيلَها
واناـدي
أنادي الشوارعَ
والضوءَ يأوي إلى صدر أُنثى
ليرتفعَ السقفُ سربَ حمامْ
انادي المدينةَ مهجورةً..
واختبائي هنالكَ
وَسْطَ الزّحامْ

أنادي الطوافَ الجميلَ بهذي البيوتْ
انادي الذي ماتَ سيدتي
والذي لا يموتْ
انادي عصافيرَك الجارحةْ
انادي الأكاليلَ.. والاضرحةْ
أنادي رحيلَكِ
ها أنتِ
ها هُمْ.. هُنا
ها أنا
لم نعُدْ في سماءِ الطيورِ طيوراً
فهيّا إذن
نأكل الأجنحةْ!!!

انا الريح

وأعرفُ اني سأمضي وأمضي
ولنْ أستريحْ
ولن يتوقفَ رقصي لأنيَ
أجملُ من قاتلٍ وذبيحْ
وأعرفُ اني أُوزِّعُ جسمي
وأزهارَ روحي
لكي لا أُرى أبداً في ضريحْ
وأعرف اني سأصحو.. وأصحو

فهل تجدُ الريحُ تلاً
لتُلقي على صدرهِ رأسَها حينَ تَتعَبُ
إني أنا الريحْ

جمـــوح ١

ستأخذهُ الأُم من شَغَبٍ جامحٍ
وطيورٍ تقودُ النهارَ إلى أوجِهِ
من كرومٍ
ومن حُصرمٍ
وحقولٍ من القمح تتبعُ آثارَ اعناقِها في
الفضاءْ
ستأخذه الأم من لوزةٍ
من جدار.. وريحٍ

وديكِ الصباحِ المشاغبِ يُشعِل ظَهْرَ
الدجاجِ وصمتَ الفِنَاءْ
ستأخذُهُ..
وستهمسُ:
لن أتأخرَ.. يا ولدي كُنْ ملاكاً
وتخرجُ مُغلِقَةً خلفَها البابَ
محفوفةً بالبهاءْ
وحدهُ يتأملُ ما حولَهُ:
شجرةَ التوتِ
قطَ الغبارِ
رمادَ الترابِ
ووحلَ الطريقِ
خريرَ المياهِ على العتباتِ
ولما يجيء بعدُ فصلُ الشتاءْ

حرائقَ
بينَ حوافرِ خيلٍ مُقيَّدةٍ
وهبوبَ العواصفِ في رقصةِ الغجرياتِ عندَ
المساءْ
يتأمل فوضى الخماسين
تقتلعُ الأرضَ من خيمةٍ
وتُطوِّحُ بالبدوِ
صحراءَ.. صحراءْ
ـ كنْ ملاكاً
سيضحكُ..
مجنونةٌ هذه الأُمُّ؟!
كيفَ؟!!
سيكسُر قفلَ الخطى ثم يركضُ
عبرَ الازقةِ.. يركضُ.. يركضْ

سأقولُ لها.. وتسامحني..
إن غدوتُ ملاكاً
سأُتعِبُ يا امُّ قلبَكِ أكثرَ.. يركضُ.. يركضْ
هنا الوحلُ في كلِّ شيء ويركضْ
وثوبُ الملاك يؤول الى الطينِ
بعدَ دقائقَ
ما دامَ أبيضْ
ويركضُ.. يركضُ.. يركضُ.. يركضْ

جموح ٢

خارجٌ عن تعاليمِ هذي الكتبْ
عن وصايا الشريطِ الطويلِ
وعن اغنياتٍ خَشَبْ
عن ظلالِ أبي
عن دروسِ الحسابِ
وما لقّنَتْهُ الفجيعةُ للنايِ
عن زُرقةٍ شربتها السُحبْ
عن مواعيدَ مغزولةٍ بالبلادةِ

عن خُضرةٍ ظلُّها جمرةٌ
عن جدائلَ موثقةٍ بالحديدِ
وعن طعنةٍ
وجراءٍ تشُبْ
خارجٌ عن ترهُّل هذا القمرْ
عن رؤىً تتثاءبُ عنْد الممر
عن خيولٍ مُكبَّلةٍ
عن غَجَر
قايضوا شمسَهُمْ بالذَّهبْ
خارجٌ
حيث لا فرقَ يبقى هنا
بينَ مَن يتساقطُ أو مَن يَثِبْ
خدعتْنا مقاعدُنا المدرسيةُ
لم تعدِ النارُ ناراً وتلكَ الجنانُ جناناً

سوى فِي الكُتبْ
سأصرخُ مثلَ الوعولِ الجريحةِ
في طرقٍ من رصاصٍ
تدكُّ خطاها القذائفُ..
والرعدُ.. بالرعبْ..
سأصرخُ في الريحِ مثل غصونٍ
تُجرِّدُها النارُ من روحِها
وسيوفٍ علاها حريرٌ
غناءٍ علاهُ الطَّربْ
سأدخلُ مع روحيَ الآن حربْ
وأُلقي بها في مهبِّ الذنوبِ
المُعَدَّةِ للصالحينَ هناكَ
ويرتعُ فيها هُنا جنرالٌ
ويرتعُ ربْ

سأحيا ذنوبي هنا كلَّها
واخوضُ في جنتي الأرضِ
مثلَ حريقٍ عجولٍ
سيبتدِيءُ الآن فصلَ اللعبْ
واركضُ عبرَ الشوارعِ أصرخُ:
يا محسنينْ ...
للهِ ذَنْبْ
للهِ ذَنْبْ

النّـــــــاجون

علىٰ بابنا ساهرونَ هنا
منذُ عامٍ على بابنا ساهرونْ
بكاملِ حنطتِهم والدماءِ
يَدقّونَ اضلاعَنا كي نَراهُمْ
وفي آخرِ الليلِ يرتحلونْ
يطوفونَ حولَ المدينةِ سَبْعاً
كشمسِ المدى
وامتدادِ الصدى

وبناياتِهم يذبحونَ السُّكونْ
يحفُّ بهم ضوؤهمْ
وطيورٌ
سنابلُ عاليةٌ
وأيائلُ بيضاءُ
في ظلِّها يسبَحونْ
هو الليلُ ثانيةً
والرياحُ تهزُّ الشوارعَ والظلماتِ
وتنفُثُ في الشجرِ المُتدافعِ
نحوَ الشبابيكِ والشرفاتِ رماحَ الجنون
سمعنا حوافرَ أفراسِهم
فأختبأنا هنا في الزوايا
وتحتَ الأسرةِ
بينَ الضلوعِ

اختبأنا كعاصفةٍ في الغصونْ

....

سيتعبُ زيتونُهم آخرَ الأمرِ

.. قُلنا

وقدْ ينزلُ الثلجُ

أو يعبرُ الجندُ هذا المساءَ ثِقالاً

وفي لحظةٍ يُقتَلونْ

وقد يتعبونَ كأمنيةٍ أُطفئتْ شَمسُها

ثم ينتحرونْ!!

هو الليلُ ثانيةً.. والرياحُ

حَبَسْنا الهواءَ

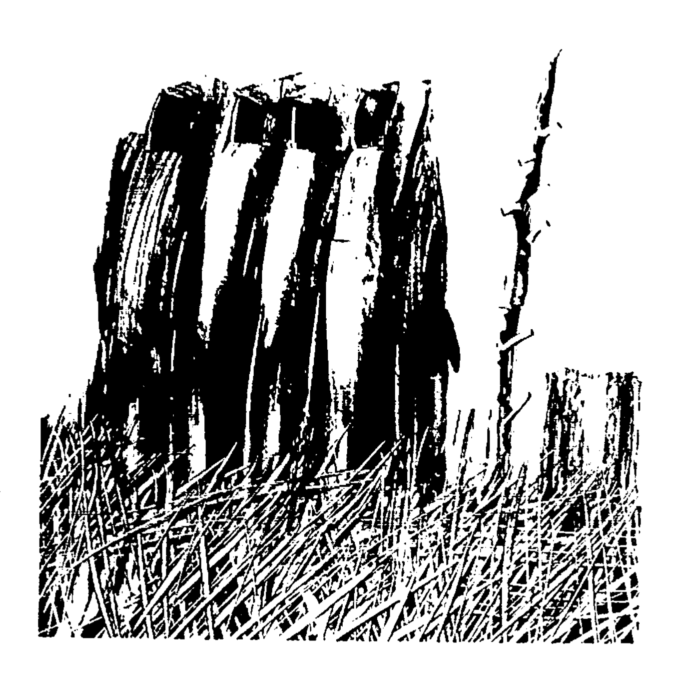
انكفأنا

وكمَ خوفٌ طليقٌ

يدينا

ونَبْضاتنا
لنقمْ كلُّنا
قالَ آخرُنا
ثمَّ نسألُهم:
أيها الساهرونَ على بابنا
منذُ عامٍ وليلينِ
ماذا تريدونَ؟.
كانتْ عواصفُ من جثث تتدافعُ بين الزوايا
ورائحةُ الموتِ صاعدةً من سطوحِ المرايا
ولونِ العيونْ
: لنقمْ كلّنا
كلُّنا
كلُّنا .
قالَ آخرُنا

وإذ بلغَ البابَ
صاحوا بنا:
... لا تفتحوا أيها الميتون!
لا تفتحوا أيها الميتون!



ترميـــــم

يُرمِمُ نافذةً غُلِّقتْ بالصفيحِ
ليُشرعَها لطيورِ النهارْ
يرممُ بعضَ النجومِ التي انطفأت
في عيونِ الشوارعِ.. وامرأةٍ ذُبِحَتْ في
الجوارْ
يرمم ذاكرةً سوف تنهَدُّ مثل الجدارْ
يرممُ عصفورةً وزِّعَتْ في الرمادِ
يرممُ ضوءاً ليصعَدَ من طعنةٍ في الظلامِ

وسيدةٌ بدَّلتْ نبضَها
بالسريرِ الفسيحِ .. ووقعِ الخُوارْ
يرمم وجهَ الصديقِ الذي أنكسرَ البحرُ
فيهِ..
المغني الذي لم يَعُدْ يشبهُ الآن حتى أغانيهِ
والريحَ حين تنامُ
وتنسى أتساعَ المدارْ
يرممُ طعمَ الحديثِ - الكلامَ
يرممُ طعمَ الهوى والثِّمارْ
وساقينِ لم تحملا كوكباً
حينَ عَمَّ الدمارْ
يرممُ رَحْمَاً، وخيلاً مُدَجَّنَةً
وقصائدَ تطلبُ أرزاقها في الظلالِ
وتندسُّ بين دجاجِ البيوتِ

وتنفخُ مثل قطارِ البخارْ
يرممُ أعمدةً وصَهيلاً
بنادقَ طَحْلَبَهَا الانتظارْ
يرممُ وعداً.. وجذراً.. وغيما
وجرحاً قديماً. يرممُ حُلْما
ويُقْتَلُ في آخر الامرِ مستوحداً كمنارْ

شجر طيب

كانَ يمكنُ أن تَكسِرَ الأفقَ في دمعةٍ أو رحيلٍ
وكانْ...
كانَ يمكنُ أن تسحبَ الشمسَ من شَعرِها
وتُساكِنَ غربانَ هذا المكانْ
كان يمكنُ أن تخلعَ القمحَ عن ساعديكَ
لتبدو خَليقاً بعُريِ الزمانْ
كان يمكنُ أن تَذبحَ الحُلْمَ في شجرٍ طيبٍ
كي تدفِئَ صمتَكَ بضعَ ثوانْ

كان يمكنُ أن تنحني لتظلً
على قيدِ خبزِكَ
أو تدفعَ العشبَ عن باب بيتكَ
كي لا يدلَّ عليكَ
وتقتلَ كالفأر أو كالحصان!
كان يمكنُ أن تشربَ الكأس مُرّاً
وتطوي ضلوعَكَ حين تُهانْ
كان يُمكنُ ان تَلجِمَ الخيلَ فيكَ
ويصدَح صوتُكَ بين القِيان
ولكنكَ الآن تصعدُ موتَكَ
أفقرَ من وردةٍ وسِنان
ونعرفُ أنكَ حين أُنيخوا..
جَمَحْتَ
وحينَ أطمأنوا

قَتَلْتَ الأمانْ
وها أنتَ تعبرُ هذي الشوارعَ
من حَدَّثَ الضوءَ عنكَ
ليوميءَ هذا الصباحُ اليكَ
ويهتفَ مبتهجاً...
«هو ذا الأنسانْ»

أغنيــــــــة

خارجَ القيدِ انتْ
خارجَ الليلِ
خارجَ ظلِّ الهراوةِ
حُراً كأُغنيةٍ ورصيفْ
خلعتَ الزوايا
ثيابَ السكاكينِ
زنزانة الضَّحِكاتِ
وناديتَ يا مرحباً بالجميلاتِ

حين انتصبتَ لتتبعَهنْ
ستهمسُ: أصبدنَ أجملَ
نضحكُ: قُمنا بواجبنا
وستضحكُ: بالشِّعر
نهمسُ: هذي الأَغَاني انطلاقةُ قاماتهنَّ
وهذي الأغاني فساتينُهنَّ
وموجُ القُرنفلِ في الصوتِ
ريحُ الغواياتِ في الصدرِ
نضحكُ.. نبكي
ونسألُ.. تسألْ
وننشدُ ان المدينةَ أجملَ
حينَ تكونُ هنا بيننا
انها الآن أجملْ
ويُشْرِقُ صمتٌ..

وتدمعُ داليةٌ وعيونْ
ونهتفُ: الله..
كم ستكونُ الشوارعُ
والفتياتُ الجميلاتُ..
اجملَ
كم ستكونُ.. نكونْ
حينما تختفي كلٍّ هذي السجون



هُـــــمْ

دمائي تؤدي اليهم
وصوتي الى عرسِهمْ
ويدايَ الى مطر يدفعُ الموتَ عن أرضهمْ
ويبددُ ظلَّ الهلاكْ
غنائي يؤدي إلى حزنِهم
كي يَردَّ الذئابَ عَن الفقراءِ
ويهتفَ للحلمِ ان حُوصرَ الحُلْمُ
في أعينِ المتعبينَ: فِداكْ

وقلبي يسيرُ وهمْ خَلْفَهُ
وهو يعرفُ ان الكمائنَ فيهمْ
وهمْ من أعدَّ الرماحَ
وهمْ من أعدَّ الشِّباكْ
ويعثُر نجمٌ.. هنا.. في سماواتِهم ويضلُّ
فيهتفُ قلبي: تمسكْ بنبضي فإني فداكْ
ويبكي اليمامُ على غصنهمْ
فأُقطِّعُ جسمي له فَزِعاً
أن يكونَ من الجوعِ هذا البكاءْ
وابصرُ اجنحةً تتكسرُ في حزنِهِ
فأقولُ ارتفعْ لستُ إلا ذراكْ
وارى ليلَهمْ مُحكَماً مثلَ سجنٍ
فأصرخُ للضوءِ: إني أراكْ
وأُقتَلُ في حالةٍ من عِناقٍ

وأُقتَلُ في حالةٍ من عِراكْ!
وفي آخر الدربِ
يندفعونَ الى جَسدي طعنةً: خُذْ هواكْ
ألا أَيها المُبْتَلى بدماكْ
لا تكنْ ههنا.. لا تكنْ هناكْ!!
وكُنْ أيَّ شيءٍ سوانا
وكن أيَّ شيءٍ سِواك!!!

دم يتناثر مثل الحكايات

فراغٌ
وللشوكِ أن يتكاثَرَ أو يستريحَ، وللريحِ أن
تأكلَ الاغنياتِ
كطاغيةٍ ولنا أن ننامَ، الى ان يهبَّ الرصاصُ
بنا
ثم نرجعُ قتلى
ونهتفُ للصمت: أَهلا
لهذا الدمِ المتناثرِ مثل حكاياتِ جداتنا،

وبقايا طفولتِنا
بين فُوَّهةِ البندقيةِ والنارِ...
نهتفُ: أهلا
لهذا الدمارِ الذي يُرشِدُ القلبَ والعابرينَ
الى حتفهمْ
للنجومِ التي سَقَطتْ ههنا كي تؤسسَ بيتاً
وتتخذَ الرملَ أفقاً وأهلا
وللذئبِ يعوي وحيداً، لعلّ الالهَ يجيبُ
نداءاتِهِ
ويكونُ له في صحاريهِ ظلّاً
يُنادِمُهُ، ويسوقُ فضاءَ الخليقةِ فيهِ..
ويلهمُهُ واحةً
أو مُصَلّى
فراغُ

ووحدكَ كالريحِ ، مثل كتابٍ على الرَّفِّ
مثل ثلوجٍ على هامةِ الصَّيفِ، مثلَ
الشواطىءِ
مطحونةً بالقذائفِ والطائراتِ وصمتِ
المحبينَ
مثلَ المدنْ
وحيدٌ لانكَ دونَ وطنْ
ومثلَ كلامٍ يَتوقُ لنرجسةٍ
او حريقٍ يهزُّ الكفنْ
فراغٌ
لأن المدائنَ خضراءُ يانعةٌ كالعفنْ
فراغٌ
لانكَ وحدكَ في الموتِ
وحدكَ في الشِّعرِ، وحدكَ في العرسِ

والاغنيةْ
ووحدكَ فيما يقولُ النهارُ لأشجارهِ
كي يُعرِّشَ في جذرها أمنيةْ
فراغٌ
لأنَّ الهواءَ قليلٌ
وهذا المساءَ ثقيلٌ
وهذي الشوارعَ نائمةٌ في دمِ القتلةْ
والاصابعَ فاحمةٌ كالبكاءِ.. ولا تقبضُ
الجمرَ كي تبلُغَ السنبلةْ
فراغٌ
لأنَ الصدى طَعنةٌ والبحارَ مرايا
وفي النهرِ ما يُشبُه المشنقةْ
فراغٌ.. لأن الحديثَ فراغٌ
ولونَكَ حزنٌ قديمٌ وقافلةٌ مُنْهَكَةْ

سقطتْ عطشاً للمدى ههنا قبلَ ان تبلُغَ
الحُلْمَ والليلكَةْ
فراغٌ.. كأنكَ عُشبُ السطوحِ اليتيمِ وما
نَعِدُ الشَّبكَهْ
فراغٌ.. لانكَ تسلكُ درباً وقد ماتَ يا
صاحبي دائماً كلُّ من سَلَكَهْ
فراغٌ.. لأنَّ الرجالَ هنا حول حُلْمكَ قَشٌ
وشَمسَ النساءِ هنا حولَ جسمكَ نارٌ مقيدةٌ
بالصقيعْ
ولهوَ الصغارِ شوارعُ لا تنتهي بالربيعْ
فراغٌ
لانكَ مثل الجميعْ
فراغٌ
لانكَ مثل الجميعْ

صباحا على باب فدريكو

«إلى سميح القاسم»

ندقُّ على بابِ لوركا صباحاً
وندعوهُ ان يَحتسي شايَنا
جَمَعْنَا لهُ من بساتــينِ «عكا»
ثلاثينَ أُغنيةً وحصاداً
ووعلينِ من برِّ موالِنا
ندقُّ على بابِ لوركا
وندعوهُ ان يرتدي خُضرةَ الاندلسْ..
على عَجَلٍ ثم يلحقَنا

هنالكَ في ساحةِ «الميجنا»
سندعوهُ ان يقرأَ الشعرَ
اغصانَ ريحِ الجنوبِ
عصافيرَ حيفا
وحكمةَ زيتونِنا
ونهتفُ: نحن التقينا اخيراً
ونبعثُ ذاكرةَ الوردِ فيهِ
ليخلعَ ثوبَ الرصاصِ الثقيلِ
ويدخلَ مُهراً الى عرسِنا
وندعو جراحَ الفتى ان تُحدِّقَ في دمِنا..
وتهبطَ مثل يمامِ الحكايةِ
تغزلَ هذا المدى نجمةً.. نجمةً
وتعيدَ الفضاءَ الى روحِنا
ـ مَنْ هنالكَ صاحَ الفتى

فانحنتْ زُرقةُ البحرِ
واشتعلتْ في الغناءِ الطيورُ
وهبتْ الى شرفاتِ المنازلِ
كلُّ نساءِ الندى
واجتَمعْنَ على صوتِنا
★ مَنْ هنا؟!
ورأينا البنادقَ
جُمجمةً إثرَ جمجمةٍ تتدحرجُ
كانوا هنا خلفَنا
قاتلونا، وأعينُ حراسِنا
:مَنْ هنا ؟
كان لوركا على درجاتِ الصدى
عالياً كرماحٍ بدائيةٍ
:منذُ كَمْ سنةً تطرقونَ صباحي لأنهضَ

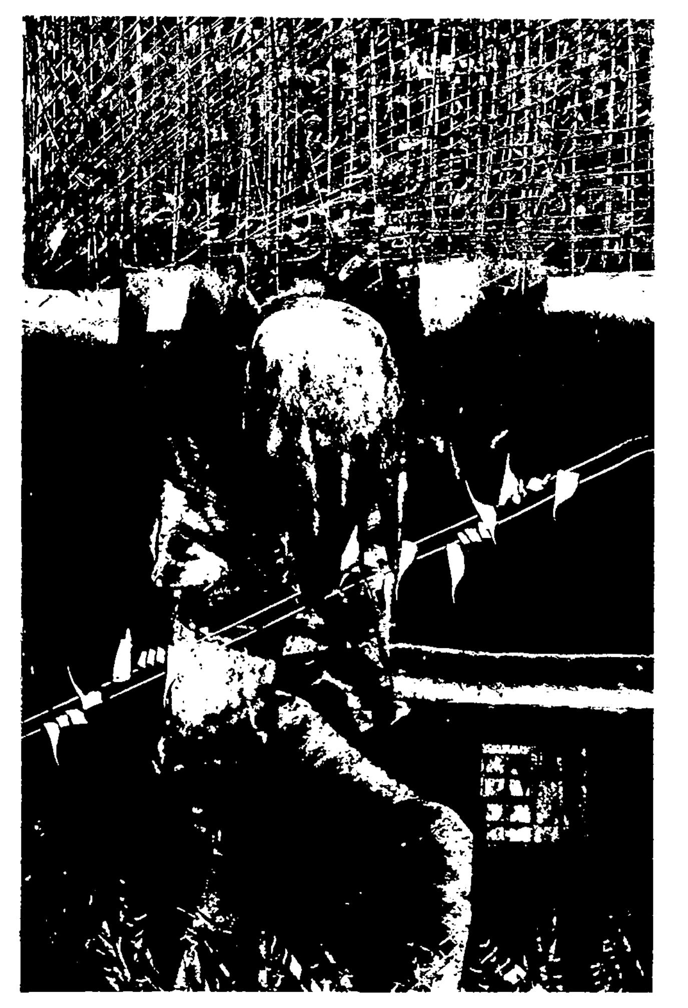
يا أصدقائي؟
ارتبكنا
وكنا سندعوهُ للشايِ
لا شيءَ اكثرَ
كنا سنُلقي على كتفيهِ الأَغاني
ونَصْدقُ في كذبنا:
في قطارِ الجنوبِ مساءَ ستأتي فلسطينُنا
حين أَشرعَ أَضلاعَهُ فَزِعاً
وهوى كظلالِ «جليليةٍ»
ثم صاحَ :
ادخلوا أَيها الشهداءُ
وخَبَّأَنا

المنفى

صمتٌ في العظمِ هنا يَتَكَلَّسُ
في أُغنيةِ الطائرِ
في معنى الكلماتْ
صمتٌ يفترشُ الأَخضرَ يبتلعُ السَّاحاتْ
يَزحفُ مثلَ أفاعي الصحراءِ
يَشُقُّ صهيلَ الخيلِ
وفي حضنِ امرأتي يتبرعمُ
في ضوءِ الأُغنيةِ الشّاحبِ

في أزهارِ الشُّرفاتْ
إني اتجَمعُ كيْ أرفعَ عن جسدي..
الغيمَ اليابسَ
عن روحي الصلواتْ
لأرى شمسَ اللهِ
ووجهي
ويديَّ: ثلاثَ يماماتْ
مرَّ زمانٌ أكثرَ مما يَحتملُ العمرَ
وأمواجي موثَقةٌ
وسنابلُ روحي لا تَصِلُ آلصَّهواتْ
زاويةٌ تدخلُ في زاويةٍ.. في زاويةٍ
هذا جسدي
والشعراءُ هنا حولي تَمَرُ الحَسَراتْ
قالتْ أُمي:

الأبيضُ شَلالُ الضَّحِكَاتْ
وضَحِكْنَا حتى انفجرَ الدمُ
وعمَّ الذعرُ الريحانَ ونعناعَ الحاراتْ
لمسَةُ إمرأتي فوقَ جبيني الآنَ قطارٌ شاردْ
والريحُ على كَتفيَّ حصانٌ بائدْ
البحرُ بعيدٌ
والاوقاتُ نُعوشٌ
والعُريُ جرائدْ
وأنا منذُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةْ
أَحفُرُ أنفاقاً
كيْ أخرجَ من هذا الرحمِ البارِدْ!



الموجـــــــة

عاليةً كنتِ هناكَ على الشاطىءِ...

البحرُ سريرٌ من أجنحةٍ لا تهدأْ

عاليةً كنتِ

دمي مُلتهبٌ

أضلاعي تتقافزُ

صوتي مُرتعشٌ

وجيادي في الداخلِ تَصهُلْ

عاليةً كنتِ

نداءٌ سرِّياً يَنسابُ إلى روحي
أتبعهُ مأخوذاً بالازرقِ
مأخوذاً بهضابِ الماءْ
كانَ الناسُ خُطىً تتقاطعُ
فوقَ الرملِ بلا اسماءْ
والأَصدافُ رئاتِ الريحِ
وريشَ طيورٍ خرساءْ
عاليةً كنتِ
كأنَّ جهاتِ الأرضِ اجتمَعَتْ فيكِ
كأنكِ روحيَ تتجلّى
وذهولي الطفلُ
كأنكِ ما بعدَ البرِّ
وبعدَ البحرِ
وشمسَ الغامضِ في الأشياءْ

وكانَ الناسُ خطىً تتقاطعُ
فوقَ الرملِ بلا اسماءْ
عاليةً كنتِ
دَخَلْنا الألفةَ في لحظاتٍ
حينَ مددتِ يداً نحوي
فانبسطَ الازرقُ شَوقاً
واتقدتْ في القلبِ
مجاعةُ قلبي
للأعراسِ المهجورةِ
للحنطةِ لوجوهِ الشهداءْ
ناديتكِ.. يا أُمي
ناديتُ...
اندفعتْ كلُّ ظباء العالمِ ظمأى فيَّ
عدوتُ اليكِ

عدوتُ
عدوتُ
عدوتُ كَسَهْمٍ من أَشلاءٍ!!

- عسقلان -

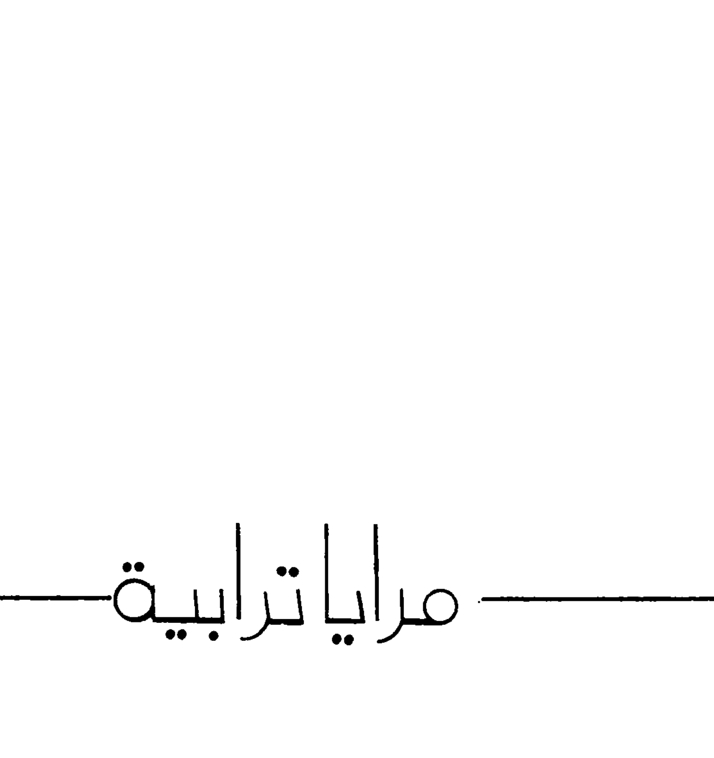
شهيــــد

يُغافلُنا فَرِحاً يَتَسَلّلُ من دمِنا فجأةً ويغيبْ
آثارُ خطوتِهِ خَجَلٌ
وصدى صوتِهِ اخضرٌ في الوريدْ
تلويحةُ اليدِ سروٌ جَسُورٌ
وجبهَتُهُ قَمرٌ في البعيدْ
ضِحْكَتُهُ وردةٌ في الحديقةِ حمراءُ.. لا تُشبهُ
الدَّمَ
لكنَّها منذُ بدءِ الخليقةِ منذورةٌ للندى

والنشيدْ
اصابعُهُ حفنةُ القمحِ .. اطفالُ زيتونةٍ..
شَعْرُ مُهْرٍ، يُمسِّدُ حقلًا
ويمتدُّ في كلِّ أفقٍ وجيدْ
.. واحدٌ في اكتمالِ كوكبِهِ والجراحِ .. ولكنَّه
كلُّنا
واحدٌ في رحيلِ الطيورِ الى الأُغنياتِ
الجديدةِ فِي أُفقِنا
واحدٌ في تَفَتُّحِ ازهارِهِ وهبوبِ الدماءِ على
الشرفاتِ وأيامِنا
واحدٌ في احتمالِ الحياةِ.. المماتِ. ورعدٍ
يهزُّ الجهاتِ.. يُعَمِّدُ أطفالَنَا
واحدٌ في الرؤى وهي تزرعُ فاكهةَ النصرِ في
غَدِنا

واحدٌ كالترانيمِ.. محتشدٌ كالنشيدِ
الجماعيِّ في مسرحِ الفجرِ أو ريحِنا
ولكنَّهُ كلُّنا.. كلُّنا
بأسمهِ نَرفعُ الأرضَ نحوَ عصافيرِنا،
والفضاءَ الى عرسِنا
والنجومَ الى جرحِنا..
باسمهِ نزرعُ الضوءَ في كلِّ شيءٍ هنا
باسمهِ ندفعُ الحلمَ نحو مداهُ..
الحقولَ لخضرتِها والأعالي لتعلو
ونكسرُ بالروحِ عاريةً طوقَ هذا الحصارْ
باسمهِ نتجمعُ في البحرِ موجاً وفي البرِّ خيلاً
وفي حجرٍ.. خنجرٍ ونُبارِكُ في دمِنا العُشْبَ
والعشقَ والماء والنارْ
باسمهِ تتكاثُر غزلانُنا

باسمه تَتَفَجّرُ أنهارُنا
باسمهِ يتواردُ هذا القَطا كالجهاتِ الى نبعِ
أرواحِنا
باسمهِ نُشْعِلُ القلبَ الياسمينْ
باسمِه نتصاعدُ كي نُعْجِبَ البرتقالَ
ونغوي الدوالي..
ونَشتقُّ عُمراً واسماً ولوناً لهذي السنينْ.
باسمهِ نَحتفي بمرورِ الربيعِ على حزنِنا
وشوارعِنا
باسمهِ نَعجنُ الأرضَ بالأمنياتِ ونارِ القيامةِ
والانبعاثِ
ونَرفَعُهُ للسماءِ صلاةْ
باسمهِ ندركُ الآنَ سِرَّ الحياةْ
باسمهِ نَحرسُ الحُلْمَ قبلَ البيوتْ
باسمهِ نتدافعُ نحوَ البنادقِ كيْ لا نموتْ..


مرايا ترابية

قَد يكونُ لنا في الترابِ ظلالٌ..
هـيَ الروحُ
مَنْ سيطوفُ بنا؟
حين تَرحلُ عنّا
ومَنْ سَيحـجُّ الينا لنبقى
مكانَ الزمانِ
هنا
وهنا

قد يكونُ لهذي الظلالِ ظلالٌ:

همو..

نحنُ

انتَ

وأنتِ

أنا



خزائـــــن

فِي الترابِ خزائنُ للوقتِ مكسورةُ
ودقائقُ مخلوعةٌ عن عروشِ الطفولةِ
بحرُ رذاذِ الثّواني
ووقعُ خُطى الهذيانْ
اندلاقُ السنينِ على الصفحاتِ القديمةِ
دَهرٌ
تطاردهُ غابةُ الخَيزرَانْ
وإيقاعُ رقصٍ بعيدٍ

على جثةِ السنديانْ
في الترابِ خزائنُ هائمةٌ
حُلْمُها جسمُنا
حُلمُها اللامكانْ

أب

.. في الترابِ أبٌ
صَوتُهُ راعشٌ بالصلاةِ
أصابعُه بالنَّباتِ
سيخفى علينا
ويعرفُنا..
من هبوبِ الذبولِ على قمحِنا
: ها خطاكمْ
وها بعضُ وجهيَ فيكمْ

تَشَرِّدُنا المُرُّ في بيتنا
وتَغَيُّبِنا عن يدينا
«وكَرْمِلِ» أسمائِنا
سوفَ نبكي
وتضربُنا أُمّنا
لن تُصَدِّقَ أن أبانا هنا
حين نركضُ
حين نشيرُ الى حفنةٍ مِنْ ترابٍ تتابُعنا

صحـــــارى

... في التراب صحارى
هي الحزنُ حينً تهبُّ المنافي
حيثَ يحتارُ نهرٌ بأعشابهِ
حينَ ينسى ضفافي.
وتَستَعِرُ الحربُ في ضحكاتِ النهارِ الاخيرِ
وينسى أليفي وعوديَ للبحرِ في صدرهِ
وزهورَ اعترافي
في التراب صحارى تحنُّ اليَّ

لتنسى اخضِراري
ونعناعَ ظلِّي على العتباتِ
وتذكرني -حينما يُذْكَرُ الراحلونَ بعيداً-
بحُمَّى جفافي

أخ

.. في التراب أخٌ
يترقَّبُ العابَهُ أَن تَجيءَ
هنا
من ثلاثينَ عاماً.. هُنا
كيف لَمْ ننتظرهُ
سيسألُنا
كيفَ باغَتَنا العُمرُ
كيفَ كَبُرنا

ولم نَدْعُهُ ليُشارِكَنا
هكذا
مرةً..
لهوَنا في المرايا.. واحلامِنا..
هكذا
مرةً..
بعضَ العابنا
في الترابِ أخٌ
حينَ يأتي الشتاءُ
يسيلُ مع العشبِ
يرشقُنا بالبياضِ العميقِ-كعادتِهِ-
ثم يسكنُ قربَ أَبينا
هنالكَ في أُمِّنا

ملامح

في التراب ملامحُ سريَّةٌ
لا تُحبُّ المكَانْ
وتَعبُدُ ريحاً توزِّعُها
فوقَ سهلِ الصباحِ
انفجارِ الحدائقِ
صهوةِ أنشودةٍ أو حصانْ
ملامحُ حينَ تصادفُنا
ونصادفُها

تتعثرُ في خطوِها.. هكذا
فَيَزِلُّ الزَّمانْ
كمْ بلغتَ من القلبِ
قُلْ أَيها العمرُ
يا قاتلي
كم بلغتَ من الحَور والبيلسانْ
قبلَ أن نتبعثَرَ ثانيةً
وتُطلُّ الملامِحُ فينا
على.. هُوَّةِ الهذيان؟!

خيـــــــــام

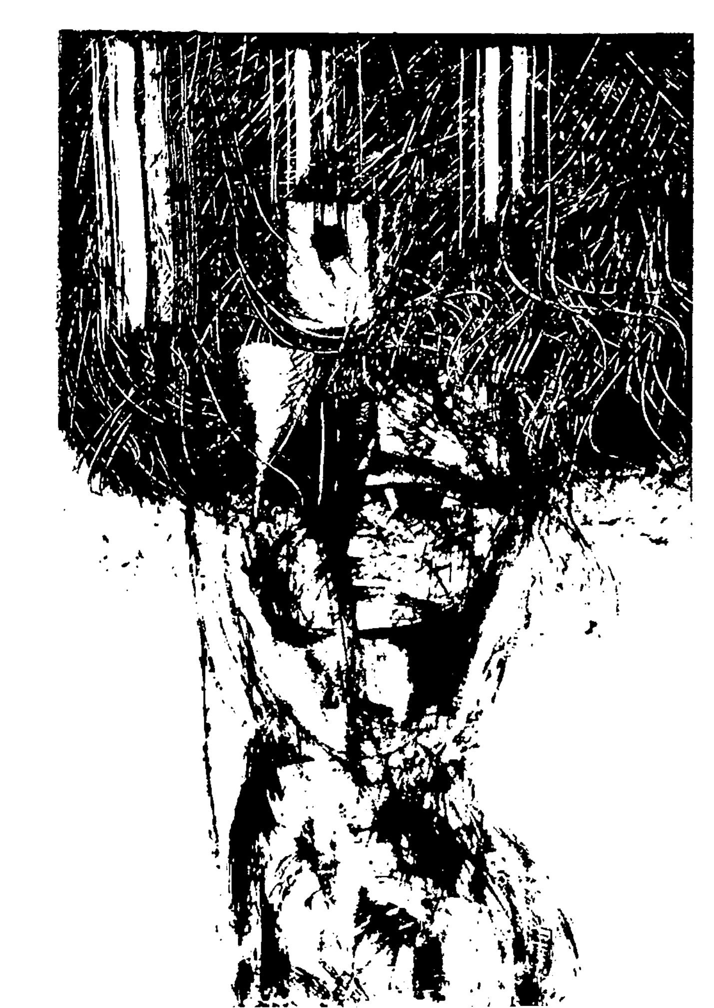
في الترابِ خيامٌ
من الدَّم.. والذعرِ
مُشرَعةٌ لفضاء الأساطيرِ في دَمِنا
وخيامٌ من الريحِ
تَحمِلُنا.. للمكانِ الجديدِ ونحنُ هنا
حولَنا بعضُ رائحةِ البحرِ
شيءٌ من الكِلس في «الميجنا»
ها تكاثرَ فينا المُغني

تكاثرَ فينا الأمامُ
تكاثرَ فينا المذيعُ
تكاثرَ فينا الكلامُ
تكاثرَ فينا الرحيلُ
الوسامُ.. وفتتَ بالنصرِ أجسادَنا!!
ولما نَزَلْ بعدَ خمسينَ عاماً
ـ كما ذاتِ قَتْلٍ ـ
هنا وحدَنا

اصابـــــع

في الترابِ أصابعُ من قَصَبٍ
تتحسسُ قَلْبَ الاناشيدِ فينا
تُعذِّبُنا ألفَ عامٍ لنرحلَ
كي تَقْتَفينا
أصابعُ تحفظُ أرضَ الرياحِ
وصلصالَ احلامنا في النساءِ
اصابعُ حين تشدُّ على الناي
أو تشتهينا

سندركُ سرًّ الينابيع فينا
ونصرخُ يا أرضَ كلّ الزواحفِ
يا أرض...
يا أرض...
لا تذكرينا



ذراع

في الترابِ ذراعُ
وخصرٌ من الطينِ لم يَكتَملْ
سنُقَلِّبُ خمسينَ اغنيةً
وبلاداً تُطلُّ على ألف بحرٍ
لنشهَدَهُ ماثلاً في الأملْ
ونحتٌ المدى
كي يضلَّ بنا
وسندخلُ في سحرِهِ كالحيَلْ

نُنشِدُ اشتعلي
يا أساطيرَنا
قد يكونُ لنا في التراب ذراعٌ
وخصرٌ حَلُمْنَاهُ في حُلْمِنا
قد يكونُ لنا

كـــــــــــلام

في الترابِ كلامٌ كثيرٌ عن البيتِ
والبحرِ
والشرفاتِ البعيدةْ
يفرُّ من الحبرِ
كي لا نُقيمَ حدائقَنا في المطابعِ
أو في صقيعِ الجريدةْ
كلامٌ سيمضي بنا حيثُما
شاء وجهُ القصيدةْ

كلامٌ سَنُنْشِدُه مِلْأَنا
وسيُنشِدُنا
حينَ نلقاهُ ما بعدَ قاتِلنا

طيـــــــور

فِي التراب طيورٌ
تُنَقِّي القصائدَ من حزننا
وطيورٌ بها عودةٌ لطفولةِ ألقابِنا
ودفاتِرنا
وطيورٌ ترانا نُحبُّ المكانَ
وأقفاصَنا
في الترابِ طيورٌ
ستسقطُ في فخِّنا آخرَ الأمرِ

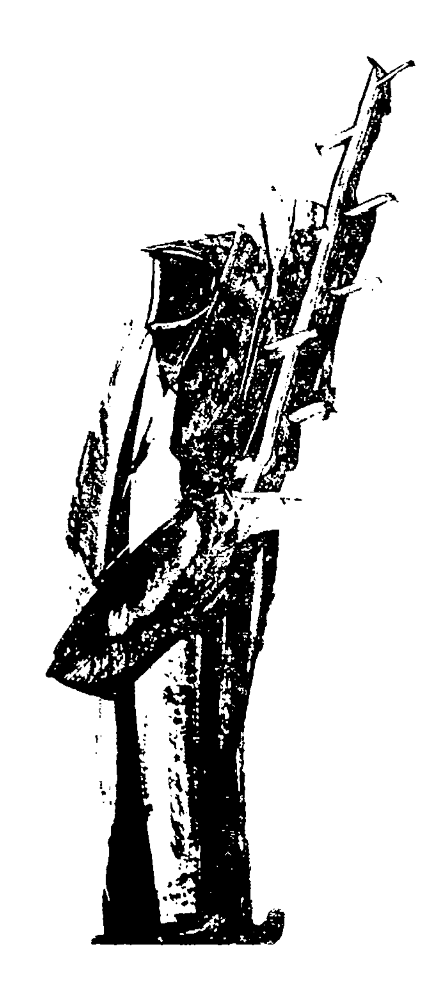
لكنّها..
لن تُغَيِّرَنا
بالقيودِ التي حولَ أرواحنا

في الترابِ نوافذُ
تستدرجُ النهرَ من حزنِهِ
للحديثِ الصباحيِّ
والزعترِ الحُرِّ
والعتباتِ التي تتفلَّتُ من خطونا
قد يكونُ لها بقليلٍ من الوردِ
إيقادُ أُفْقٍ..
ودعوةُ سهلٍ فسيحٍ وتلٌّ الى حَوْشِنَا

وإطلاقُ كلِّ حنينِ الصبايا المؤجلِ
للخيلِ في دَمِنَا
قد يكونُ لها ان تُشرِّعَنا
كالنوافذِ
او تتأمّلَنا
فهي عينُ البيوتِ علينا إذا
غابتِ الأمُّ عن صوتِها
وتَشرَّدَ نصفُ حكايتِنا
وهي مُفْرَدَةُ الضوءِ
نسرقُ سِراً ستارتَها
كي يظلَّ الطريقُ يؤدي ـ مساءً ـ
الى أهلنا

في الترابِ قرىً ومدائنُ
أَوغَلَ فيها الرمادُ
فشرَّدها الوقتُ عن نفسِها
انفرطتْ شمسُها كالنهارِ الأخيرِ..
واسمائِها
في الترابِ قلاعٌ بلا حرسٍ
ودروبٌ بلا بشرٍ
وسيوفٌ تفتشُ عن حدِّها

في الترابِ احتمالٌ لكلِّ الغيابِ
وعودتِها
في الترابِ بلادٌ مضتْ..
فأتتْ.. للفلاةِ الرياحُ
لتسرُدَ للصمتِ سيرتَها



أليـــــف

.. في الترابِ أليفٌ
ألفناهُ صمتاً
ففارَقنا
ليُبعثرَ عنّا فتاتَ الكلامِ
وحَيطتنَا
من مرورِ الأغاني ـ صباحاً ـ
على رملِ أرواحِنا
في الترابِ اليفٌ يحبُّ الرحيلَ
قتلناهَ
حينَ أقمنا هُنا

سرير

في الترابِ سريرُ البياضِ المُطلِّ
على صلواتِ الأقاربِ
والنايِ
والدَّعواتِ
وزهرِ المرارةْ
وصمتٌ يؤدي ألى شجرٍ خائفٍ في الظلامِ
وقَفْرٍ يَشِيدُ القبورَ
لكيْ..

لا تضيعَ الحجارَة
في الترابِ سريرُ الحنينِ الى أصلِنا
والخسارَةْ
وكونٌ سينهضُ عندَ الصباحِ
ـ رشيقاً بأحيائه ـ
كي يُخبيءَ تحتَ الترابِ دمارَهْ

وصايـــــــا

في الترابِ وصايا
تضيءُ مدى الحُلْمِ
تحرُسُنا
تُرشِدُ الياسمينَ الى نفسهِ حين يجهَلُنا
في الترابِ وصايا تحفُّ بنا:
سورةٌ للغمامْ
سورةٌ لرثاءِ السكونِ الثقيلِ
وأَصْلِ اللجامْ

سورةً لا تنام..
تسيرُ على هَدْيِنا في المذابحِ
أو في الحَمامْ
في الترابِ وصايا
ستنْحَلُّ فينا
لنقطعَ بالحُلْمِ هذا الظلام

غصـــــــــون

في الترابِ غصونٌ
لها ألفةُ الظلِّ
جذعُ الزمانِ القديمِ
لها شُرفاتٌ تُطلُّ على الروحِ والأوديَةْ
ولها خَضَرةٌ عكسَ يومِ اليباسِ
لها رقصةٌ
ولها أُغنيةْ
غصونٌ تُقاسِمُنا ضوءَها

ونُقاسِمُها كلَّ أشيائنا

... ...

كلّ زيتونةٍ
حينَ نزرَعُها
سوف تزرعُنا
قربَها ههنا

سطـــــــــوح

فيِ الترابِ سطوحٌ
سنرفَعُها
عن غبارِ الطريقِ
وعن خطواتِ الجيوشِ
وعن شهوةِ الخُلْدِ
والأقبيةْ
عن قَبولِ القتيلِ بقاتِلِهِ حارساً
وارتجافِ القرنفلِ في ياقةِ الطاغيةْ

فيِ الترابِ سطوحٌ
سنرفعها
وسيدركُنا قوسُ أيامنا
ننحني
وتظلُّ هِيَ العاليَةْ

لفـــــــــات

في الترابِ صدى صرخةٍ
قبلَ ان تتكاثرَ في لحمنا الكلماتْ
رحَلَت في ضياعِ الشعوبِ
ووزعتِ الصلواتْ
ورمَتْ نصفَها حينما أدركَتْ
عسلَ الحبِّ في الحبِّ والأغنياتْ
في التراب حديثٌ أليفٌ
عن الكهفِ

والغيمِ
عن صَبَواتِ النَّبَاتْ
وعَنْ روحِنا في النُّمورِ
وعَنِ شوقِنا للبَناتْ
ولكنَّها لحظةَ الدَّمِ فاضتْ
فصارَتْ لنا
كلُّ هذي اللغاتْ

مـــــذاق

في الترابِ مذاقُ البحارِ الندى
والغيومِ... مذاقُ المدى والمطرْ
مذاقُ السهولِ
الجبالِ
السفوحِ :
مذاقُ البشرْ!
مذاقُ الأنوثةِ
والحبِّ

والبرتقالِ الجريءِ
مذاقُ الطفولةِ
والزعفرانِ
مذاقُ الاقامةِ في قلبِ أُمي
مذاقُ السَّفرْ
في الترابِ هنا طَعْمُ روحِكَ - روحي
ولكنَّه يتسلَّلُ نحو منابِعها
يتذَوَّقُها - قَبلَنا كلِّنا يا وحيدي - الشَّجرْ

رئـــــــــات

في الترابِ رئاتٌ
أَنحنُ الهواءُ الذي تَتَنَفَّسُهُ حين تلهثُ
خلفَ القممْ
هـهنا نترددُ فيها
فتعدو
ليلتئَمَ العشبُ فينا
ونبعثُها من عَدَمْ
في التراب رئاتٌ يطاردها الخوفُ

تُحصي سقوطَ المُحبينَ
مَكسُوَّةً بالندَمْ..
حينَ تصعدُ أرواحُهم
حينما..
في الترابِ رئاتٌ
لها في الغيومِ هواءٌ
غناءٌ
وَتَشْرَقُ يا صاحبي كلَّما
سالَ في الأرضِ دَمْ

ملاعب

فِي الترابِ ملاعبُ مشدودةٌ لجنونِ
الصِّغار
بالعابِهِمْ
وشواطىءُ تركضُ في حُلمِهِمْ
وأصابِعهمْ..
دائماً حينَ نتعَبْ!
لهم قلعةٌ يحرسونَ هشاشَتَها
ولهمْ

نَمِرٌ آخرَ الأمرِ يُشبهُ أرنبْ!
ياقديميَ في الخيلِ
والسنديانِ
قديميَ في كلِّ مِلْحٍ وكوكَبْ
نمرٌ أنتَ
أم قلعةٌ بينَ أيدي الصِّغارِ ستنهارُ
والريحُ في الأفقِ مِخلَبْ
كم أنادي
أيسمعني الغيمُ
يا أيها الغيمُ لا تحبسِ الماءَ
ان الترابَ هنا يَتَعَذَّبْ
يا قديميَ يا توأمَ الصَّبواتِ
لماذا أراكَ إلى الرملِ تُنْسَبْ
أيُّ حفنةِ رملٍ من الرملِ أنتَ
وقدْ أصبحَ الرملُ للرملِ مَلعَبْ؟

جيـــــــــاد

قَدْ يكونُ لنا في الترابِ جيادٌ
ستمْتَحِنُ الأرضَ والأفقَ فينا
وترحلُ عنَّا
إذا ما انثنى سُلَّمُ الدَّمِ ضوءاً
ولوناً
ومعنى
جيادٌ سَتَشْهَدُ فينا الصباحَ
وتعدو عليهْ

لتَحْمِلَ بَرقَ الكلامِ الى أصلهِ في العِناقِ
وتحملَ نايَ المُغني
إلى وطنٍ في يديهْ
سنهمسُ: ها قد وصَلْنَا
فَتَصهلُ:
لا لمَ نَصِلْ
لم نَصلْ أيًّ شيءٍ وصلنا إليه
لم نصل أيّ شيءٍ وصلنا إليه

اذار ١٩٩١

راية القلب

إشـــــــارات

● تموز: قتله الخنزيرُ المتوحشُ في الجبل.. ومن دمه المهدور انتشرت شقائق النعمان، لذا فان عودتهُ موسمية. ولكنه أسلمنا الخيطَ الذي تتبعناه إلى أن أصبحت إقامة شهدائنا بيننا دائمة.

● جلجامش: بحث عن عشبة الحياة حتى وجدها. فغافلته الأفعى وسرقتها، ولكننا منذ خمسة الاف عام ما زلنا نقتلُ الأفاعي ونشهدُ موتَها، وما زال جلجامش يعيشُ بيننا.

● أُور: مدينةُ جلجامش.. تبوحُ لنا بسرِّها وتتجلى كلما آرتفع منسوبُ الكرامةِ في دمنا.. فتكون أحيانا ،عكا، الصامدة في وجه الحصار وتكون حينا ،يَعْبَدُ، التي تزهو بعز

الدين القسّام.. وتكون حينا بيروت.. وأور.. مثل كلِّ البشر الرائعين.. لا تموت.. فالمدينةُ من لونِ البشَر.

● سُراقة: أحد فرسان قريش الذين تابعوا النبي في هجرته الى يثرب مع أبي بكر.. ليقتلهُ، التوظيف هنا ليس له علاقة بهجرةِ النبي.. ولكن له علاقة بالهجرة. لقد وعدَ النبي سُراقةَ ان عاد بسوارِ كسرى، فعاد، وكان له بعدَ سنوات طويلة، وعلى الرغم من وعود كثيرة قطعتها قصائدنا على نفسها، إلّا ان سراقة القرن العشرين لا يعود ولكن كما تقول أُمي (ذَنْبَه على جَنْبَه)!!.

● عوليس: بطل الاوذيسه.. ورحلة المهالك الطويلة باتجاه بلده، وصل في النهاية حياً،

ووصلت ردلالُ المغربي، شهيدة، وفي البرِّ الفلسطيني كانت رلينا النابلسي، تشقُّ الطريقَ باتجاه الساحل ـ الساحل الذي يُشكّلُ نقطةَ اللقاء الجميلة بالقلب.. بكاملِ الوطن.

● بدر: بدر شاكر السياب.. عقد حلفا مَعلنا مع تموز، حيث يخرجُ كلَّ عام ليدعو شقائقَ النعمان... وما أن يُنشد قصيدتَهُ (أنشودة المطر) حتى تلبي نداءهُ كلُّ ازهار الكون... وهذا بالذات ما يدفع الموت الى الانقضاض على الازهار محاولا اخفاء جريمته.. وهذا هو السبب ـ ربما ـ الوحيد الذي يجعل اعمار الورد قصيرة الى هذا الحد.

● عمر: حين وردَ إسم عمر في نشيد الطفلة في آخر القصيدة.. لم يجرؤ احدٌ على أن يسألها من تقصدين بذلك.. كانت على ثقة من نشيدها، ولكنها ربما كانت تقصدُ أحد العمرين عمر بن الخطاب او عمر المختار، او عمر.. الطفل الصغير جدا.. المشاكسَ.. إبن جيرانها!!



سأبدأُ هذا الصباحَ
واهتفُ:
عِمتَ ظلاما
خطايَ تعودُ اليكَ كأني
خرجتُ هنالكَ من صمتِ رحْمِكَ
أو انني ما تَبعتُ الغماما
إلى نخلةٍ شَكَّلَتنا حماما
سأبدأُ هذا الصباحَ
وانسى مرورَكَ فيَّ
وانسى افاعي خطاكَ التي تَعبرُ الدَّمَ
أنسى... وأستلُّ قلبي حُساما
أنا خارجُ الاسودِ المترامي
على سطحِ هذي القبورْ
أنا داخلُ الزنبقِ المُتصاعدِ

من ظلِّنا نحوَ عشبٍ ودورْ
أنا خارجُ الداخلِ المتفجِّرِ
من جسدي هاربٌ
ما تعودتُ يوماً مُقاما
ولكنني الآن أمضي اليكَ
وأَبعُدُ عني
فمن يُوقفُ الان خطوي
لأَسحبَ روحي بعيداً
وانصِبَها في الفلاةِ خياما
ويُلقي على كتفيَّ السَّلاما؟

- ★ -

تَشهيتَني عندما كنتُ طفلاً
ركضتَ معي
وقاسَمْتَني نصفَ خبزي
ونصفَ هوائي

ونصفَ الدوالي
وقاسمتَني شعلةَ الفرحِ الأخضرِ
الحُلْمَ
حتى إذا ما سألتُ.. أندفعتَ
وقاسَمْتَني دهشتي وسؤالي
ابتعدْ
قلتُ.. حينَ رأيتُ سواقي ظلامِكَ
خُصْلاتِ أشباحِكَ ـ الجندِ
قلتُ ابتعدْ
وتقدمتُ نحوكَ يوماً.. سنةْ
وقلتُ: أبتعدْ
وملأتُ الشوارعَ بالشيطَنةْ
وقلتُ أبتعدْ
وامتطيتُ الأناشيدَ كالأحصنةْ

وقلتُ ابتعدْ
وتقدمتُ نحوكَ
والريحُ في قيدها ساكنةْ
وقلتُ ابتعدْ
والتقينا
أنا الطفلُ
والزهرُ لم يبلغِ الثامنةْ!
فأوشكتُ أن أنحني لتمرَّ
وكانَ الرصاصُ يُفتتُ صدرَ الهواءِ
ويلقيه للصخرِ..
حين رأيتُ انفجاراً
صغاراً يطيرونَ صوبَ النجومِ..
القنابلَ موقوتةً ترِثُ الأمكنْة
وقلتُ ابتعدْ

لستُ وحدي!!: ابتعدْ
وأشْهَرتُ في وجهكَ السوسنةْ

- ★ -

تسللتَ من اينَ؟!
اينَ ولِدتَ؟!
وكيفَ تكاثرتَ..
كيف استطعتْ؟
ان تغافلَ أجدادَنا
ان تَغُذَّ الخُطى نحونا
ان تُسابقنا
كيف غافلتَ آدمَ
كيفَ تسللتَ برداً إلى صدرِ حواءَ
هل شعلةُ الحبِّ بينهما انطفأت
فأقمتَ هنالكَ في نُطفَةٍ..
قُبلَةٍ

وذبحتَ البداياتِ من سرِّها
ورفعتَ الظلامْ
وأصبحتَ يا موتُ ظلّيهما
قيلَ لم يكُ للزهرِ ظلٌّ
ولم يكُ للسرِّ ظلٌّ
ولم يك للخيلِ ظلٌّ
ولم يك للنهدِ ظلٌّ
ولم يك للشمسِ ظلٌّ
فكيفَ قَطَعتَ أناشيدَنا
كيفَ باغتَّ «تموزَ»
كيفَ تخفيتَ في ثوب أفعى
وغرَّبتَ «جلجامشَ البابليَّ» عن الغدِ..
والخطوةِ القادمةْ
وقَوَّضتَ أسوارَ «أورَ»

لتُصبحَ يا موتُ من بعدها عاصمةً؟!!

- ★ -

تمرُّ مرورَ الجنودِ علينا
مرورَ القيودِ على روحنا
وتمرُّ مرورَ الحرابْ
وترفعُ أعراسَنا جثثاً
وتُعلِّقُها في مهبِّ الغيابْ..
عصافيرَ جامدةً
وسماءً مُعَلَّقَةً في جناحِ غرابْ
تمرُّ علينا
وترتعشُ الجنرالاتُ تحتكَ
في ليلةٍ.. يَلدونَ الخَرابْ
ويكونُ انقلابْ:
عساكرَ جرارةً

عوسجاً
ومجالسَ من «نعمٍ» وذئابْ
انا الطفلُ ما زلتُ أُطبقُ كفّي
على جُملةٍ ـ زهرةٍ في الكِتابْ
واقرعُ اجراسَ لهوي
كأني اراوغُهم عسكراً وذبابْ
وآوي الى «كَرْمِلي»
وأُحرِّضُ هذي الرياحَ
وأُطلقُها من أَعِنَّتها
واقولُ اقلعي جذرَ هذي الجراح
انا الطفلُ
يا أبتي.. فاستَعِذْ بي
انا نصفُ سرٍّ
انا فُسحةٌ ما وراءَ الجوابْ

دمي عاصفُ
وجموحي عُقابْ
أنا الطفلُ يا أبتي
فاستعذْ بي
توكأْ عليَّ
أنتصبْ
لا تَمتْ
ها همو يغلقونَ الصدورَ علينا
هنا ظُلمةٌ
ظلمةٌ

ظلمةٌ

....

وتحسستُ قلبي

وأشعلتُ قنديلَ روحي

تَجمَّعتُ.. كي لا تمرَّ السِّهامْ

وتُشرعَ للموتِ نافذةً للظلام

وتَجمَّعتُ أكثرَ.. ثم صرختُ

فأبصرتُ «روما» مجلَّلَةً بالسَّوادْ

و«صبرا» مُوزَّعَةً

أيّ طفلٍ قتيلٍ ستحتضنُ الان؟

وكلّهمُ ثمرٌ للفؤادْ

وأبصرتُ شاماً

وجيشَ المغول يُعَلِّقُ «بغدادَ» من نهرِها في الوهادْ

ـ يا ولدي؟ أين نحنُ
★ هنا..
ـ ما «هنا» هذهِ؟!
★ «غيُرنا» يا ابي «غيُرنا»
قلتُ يا امراتي أين أنتِ
فقالت: هنا «غيُرهم»
وتَجمَّعَ هذا الظلامُ تَجمَّعَ
فاحتلتِ اليافطاتِ الشوارعَ أسماؤهمْ

– ★ –

أَتدثَّرُ بالصمتِ اسئلةً
أتدثُر بالاقحوانْ
وأطرقُ أبوابَ حزنِ النشيدْ
....
وتمضي المدينةُ في ليلها نحوَ صدرِ الحديدْ

صوتُ قيثارةٍ
وحفيفُ صلاةٍ
واعمدةُ المدنِ الغابرهْ
آخرُ الضوءِ
بعضُ الندى المطمئنِ على جثةٍ جلستْ ساهرةْ
خطى تتقاطعُ
رتلُ جنودٍ
وزنزانةٌ
وضلوعُ قرنفلةٍ سافرةْ
السماءُ معبأةٌ بالجفافِ
الحجارةُ غائمة ماطرةْ
وكلُّ الخطى عابره!!
وكلُّ الخطى عابرهْ!!
ردَّ لي بعضَ قلبي اذن أيها الحبُّ

كي أحبسَ الخطوَ فيَّ
فأمضي اليَّ
وردَّ ليَ المرأةَ الطائرةْ
رَفَعتُ لها نصفَ عمري جناحاً
لأُقنعَ زهرَ البنفسجِ فيها بأني ابنُها
فردَّ على جسدي عريَها
لكي أسترَ الروحَ
ردَّ على غربتي «الناصرةْ»
ولا تبتعد أيها الحبُّ عني
وهاتِ يدكْ
إن بريتي خلفَ عرسِ الفَجرْ
مُعَلَّقةٌ في نشيجِ وتَرْ
فلا تبتعد أيها الحبُّ عني
وهاتِ يدكْ

فالمساء حَلَكْ
وأضاعتْ شبابيكُنا منزلَك
أيها الحبُّ لا تبتعد.. أيها الحبُّ.. عني
وهاتِ يدكْ
وأَضيء شمعةً
سُحِقتْ وردةٌ
واطمأنَّ الرصاصُ... فمرَّ بطيئاً!!!!
وغنّى جنودُ
قَتَلْنا مَلَكْ
أَضيء أيها الحبُّ وجهي
ودُلَّ عليَّ الفَلَكْ
ليلةٌ.. والنهارُ غريبٌ
فأيّ الدروب سَلَكْ؟
تعثرتُ.. قُمتُ

ويممتُ وجهي إلى حيثُ وجهي
فأبصرتُهُ.. قلتُ من قَتَلَكْ؟
قال عاوَدَني راقصاً في الظلامِ
هنالكَ في ساحةِ المقبرةْ
قُلتُ ماذا حدثْ؟!
قالَ عند الغروبْ
افتتحوا مَعرضاً
وبعدَ دقائقَ
مرّوا ثقالاً.. وفي دمنا افتتحوا مجزَرَهْ!
قلتُ: يا أيها الموتُ
ناديتُ.. ناديتُ
اعرفُ أنكَ في الصمتِ
والآن أملأُ كلَّ خلايايَ رقصاً وأفئدةً وطبولْ
اقطعُ الدربَ.. أفتحُ هذا النهارَ عليكَ

سَأُشْهِرُ أجملَ ما في دمِ الوردِ
أجمل ما في عيونِ النساءِ
وأجملَ ما في غناء الطيورِ
وأجمل ما في اندفاعِ الصدورِ
وأجملَ ما في جموحِ الخيولْ
وأنزعُ منكَ المدى
ثم أتركُ صوتَكَ دونَ صدى
كصحراءَ خارجَ روحِ الندى
أيها الموتُ
هذا طنينُ خطاكَ الا فاظهرِ الآن.. وليتجلَّ
الوعيدْ!!
قالَ: ماذا تريدْ
قلتُ: أن تتراجعَ..
أن تَذبُلَ الظلمةُ.. الخوذةُ.. الحرسُ..

المشنَقَةْ
وان أجدَ العمرَ للزنبقةْ
قالَ: ماذا تريد؟!
قلتُ ان أوصلَ الغدَ بالبارحةْ
واجتاحَ جندَ الردى الفاتحهْ
قالَ ماذا تريد؟
قلتُ ان تُرجِعَ الارضُ احبابَنا
ويُنادي علينا بأسمائنا
لا بأشلائنا ورياحِ الألمْ
قالَ: لا
قلتُ بيني وبينَكَ دمْ
ومضى..
ومضيتُ
فقلتُ لنا جولةٌ

قالَ: كيفْ؟
قلتُ: أَمتشقُ الروحَ رمحاً وسيفْ
وأكونُ الحُضورْ
قالَ: إني العدمْ
فناديتُ
جاءت إليَّ نسورٌ
وجاءتْ إليَّ قممْ
قلتُ: مَنْ ذا يُلبي نداكَ؟
فقالَ: الأعاصيرُ والساحراتُ
وبردُ الحديدْ
قلتُ: من ذا يلبي نداكَ
ـ العبيدْ
وناديتُ
لبتْ ندائي الخيولُ

وجاء على الصهواتِ النشيدْ
وجاءتْ حدائقُ
فانفضً
قلتُ: تمهلْ
مضى..
عباءتُهُ طعناتٌ وبيدْ

- ★ -

قالَ: القاكَ في البحر!
قلتُ: القاكَ في البحر!

- ★ -

جاء كبشٌ من الموجِ مشتعلاً
قلتُ: يا بحرُ
كنتَ دمي
وترابُ السواحلِ كانَ الجسدْ

قلتُ: يا بحرُ فينا المدى يتَّحدْ
أنا الشيخُ
والطفلُ..
قلبيَ شيطنةٌ وولدْ
لكَ الأرضُ تاجُ
لكَ الموجُ مَجدْ
قلتُ: يا بحرُ
آتيكَ
لا أُبحِرُ الآن حتى أكونَ سواكَ
سوانا هو الضدُّ..
.. إطفىءْ قرونَ المياهِ.. وَلِدْ
ساحلاً هادئاً
يَصلُ اليومَ بالغدِ
يا بحرُ

يا بحرُ هاتِ يدكْ
لكي أرتقي فَرِحاً زُرقتَكْ
ونُشعلَ للفاتناتِ هناكَ على الشَّطِّ وردْ
ستَرانا الطيورُ
وتحملُنا للأغاني
ففي الحزنِ يا بحرُ منفىً وبُعدْ
هدأَ البحرُ
: يا بحرُ
ها سُفني.. عودتي نحوَ نصفي
ونصفيَ ماءٌ
ونصفُ الحبيبةِ شَهدْ
سقطَ الظلُّ
وانتشرَ الليلُ
فاندفعَ الموتُ

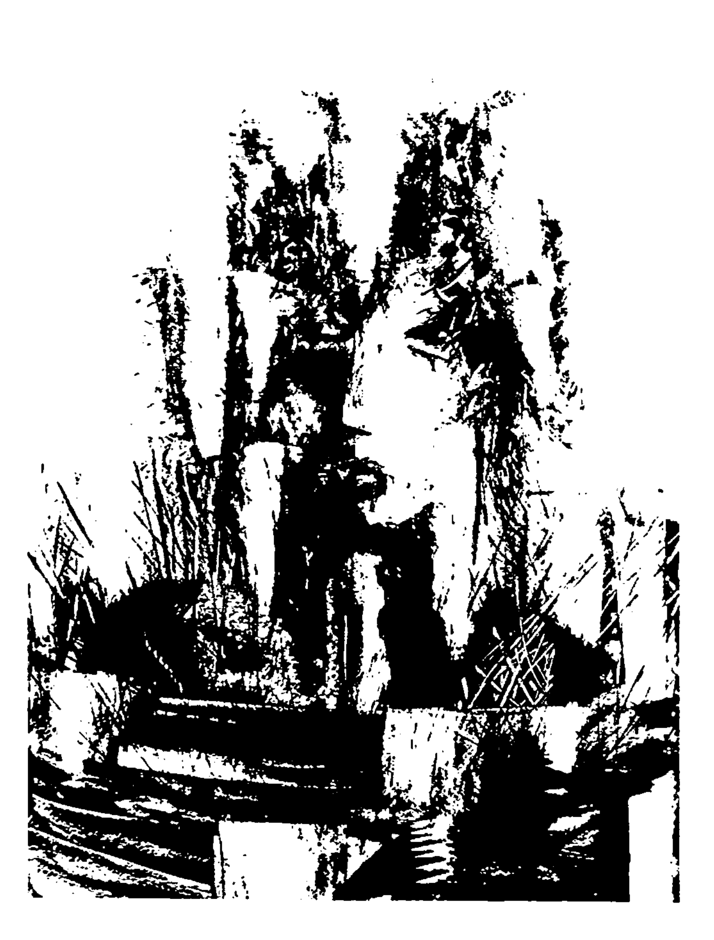
يا موتُ عُدْ
لنا البحرُ وجهٌ. تَورُّدُ خَدْ
فقالَ: لي البحرُ.. سيفٌ وعَبدْ!
قلتُ يا بحرُ نَسِّقْ رماحَكَ
قد أقبلَ الموتُ
يا موتُ عُدْ!
هنا الكائناتُ أتتْ رضعتْ من حليبِ
جموحي
ولمْ يكُ في الارضِ قَبلَكَ حِقدْ
قلتُ: فلتكن الحربُ يا موتُ فلتكن الحربُ
قالَ: أنا الجَزْرُ
قلتَ: انا المدْ
اندفعنا.. اختلطنا
وكانتْ أعاصيرُهُ سيفَهُ

وذئابُ الرياحِ اصابعَهُ
قُلتُ: يا حبُّ خُذْ بيدي الآنَ
حَصِّنْ شراعي ويا حبُّ شُدْ
وتجمعَ فينا صباحٌ.. صغارٌ
حدائقُ.. خيلُ مدىً لا يُحَدْ
وكانتْ كواكبُنا لا تُعَدْ
سقطتْ من يدِ الموتِ وجهتُهُ
وأعاصيُرهُ
قالَ: اني العدوُّ وما من صداقتنا الآن بُدْ
قالَ عوليسُ: لا
هتفَ الموتُ فلتتسعْ خطوتي
وليكنْ حقلُكم رملَ «نَجدْ»
وليكنْ وجهُ «فينُوسَ» في الحدقاتِ رَمَدْ
ومضى فتصاعدتُ قلتُ لنا جولةٌ

ومضى
حينَ عُدنا مع الصبحِ نحوَ السواحلِ
قالتْ «دلالُ»:
انظروا تلكَ «حيفا»
انكساراتُهُ وصلتْ قَبْلَنا
وأشارتْ إلى كومةٍ من زبَدْ!

- ★ -

ودارتْ بنا الأرضُ
جاءَ لنا الموتُ
قلنا لنا أينَ حيفا؟!
ولم يكُ هذا سؤالٌ
وأصبحتِ الأرضُ منفى
- ★ -



يَطولُ الرحيلُ إلى ارضِ يثربَ،
مكةُ أبعدُ من خطوتي
والرياحُ تسوقُ المدى للردى
ويطولُ الرحيلُ إلى أرضِ يثربْ
في العتمِ ألفُ سُراقةَ خلفي
ناديتُ: عودوا
ومَنَّيْتُهمْ
قلت: عودوا..
تضيفونَ ليلاً إلى ليلكمْ
إذ يسيلُ دمي
ويُوزِّعُ جسمي على حُلْمِكُمْ
قلتُ: عودوا
وألفُ سُراقَةَ خلفي.
ولم يبقَ لي رمقٌ غيرُ سيفي!!
وناديتُ: عودوا

ومَنيَّتُهمْ
لم يعدْ منهمُ أحدٌ
كانت الريحُ خلفي «سُراقةْ»
ورملُ الصحاريِ سُراقَةْ
قلتُ: بيني وبينَ المدينةِ يومانِ
فلأتحاملْ على آخري!!
رُبَّ شبرٍ من الأرضِ يطلُعُ من خلفِ هذي الرمالِ
ورُبَّ بدايةْ
تُعيدُ لي الخطوَ من تعبٍ..
وتردُ النهايةْ
التفتُّ إلى صاحبي
قلتُ: لا تحزنِ الآنَ
من بَعدِنا يُولدُ الحزنُ

ما دامتِ الشمسُ للقلبِ رايةْ
وكانوا هنالكَ
تنبسطُ الأرضُ تحتَ حوافرِ أفراسِهمْ!!
وتُخسَفُ من تحتنا!!!
فنُراوغُ نارَ أسنَّتِهمْ
قلتُ: يا ربُّ قُلْ
معنا أنتَ أم معَهمْ؟
ودنوا ودنوا
لَفَحَتْنا السيوفُ اللهاثُ
فقلتُ: أيا صاحبي قلْ لَهمْ.. قُلْ لَهمْ:
سنردُّ الأغاني على حزنهمْ
وتفسّخِ أرواحِهمْ
قُلْ لهمْ..
والتفتُّ

فما عادَ لي صاحبٌ
صاحبي الآن تابعُهُمْ!!
تعبي هَدَّني.. فَنَحَتُّ خطايَ
وناديتُ: يا للخيانةِ
واقتربَ الموتُ
يا للخيانةِ
يا قلبُ لا تتوقفْ
ويا صدرُ لملمْ فُتاتَ الهواءِ
الزنازينُ ضيقةٌ
والمذابحُ حاضرةٌ
والسماءْ
سَحَبتْ نُطْفَةَ الشمس من دربنا
فأشعلِ الآن يا قَلبُ ما شئتَ
من عتمةٍ.. ولتكنْ لي فضاءْ

حصارُكَ في خطوةٍ ودمٍ
وحصارُكَ صمتٌ وجرعةُ ماءْ
فلتكنْ لي فضاءْ
بيروتُ تحلمُ في فُسحةٍ
تَصِلُ البحرَ جهراً بأسمائنا
وتُعلِّمُنا حكمةَ الكبرياءْ
إيهِ يا حبُّ «يثربُ» تنأى
إيه يا حبُّ «يثَربُ» تأتي
سأُعاتبُها دائماً أين كُنتِ
إيهِ يا حبُّ يثربُ تنأى
قَطَعْنا ثلاثينَ حزناً
لندخلَها مثلما ندخلُ القلبَ
لكنها الآن تنأى
شبابيكُها حَجَرٌ

والغناء على سورها حجرٌ
أين هُمْ؟!!!
من يفضُونَ حزنَ القصائدِ
إذ يُنشِدونَ هنا «طلعَ البدرُ»
يا حبُّ قد طَلَعَ الموتُ
عمانُ تنأى
أيا حب عُدْ
مكةُ الآن اقربُ
يا حبُّ عُدْ
لم يَعُدْ لي طريقٌ لأُطلقَ نافذتي طائراً
أو رسائلَ
إني أعودُ وألفُ سُراقةَ خلفي..
هزيمةُ شمسِ النهارِ هنالكَ في صاحبي
فلنقفْ لحظةً

سأرتبُ يا حبُّ في لحظةٍ ساعدي وصفوفي
لكيْ أتجمهَرَ
ثم أُباغِتُهمْ
ليسَ من خَلْفِهِمْ
من حُضورِ الذئابِ بأسيافِهِمْ
من خيامِ الجيوشِ بأرواحِهِمْ
من مرورِ الخرابِ على صدرِهِمْ
وانحناءاتِهِمْ
مكةُ الآنَ أقربُ
والنهرُ صوتي
وخلفَ «أريحا»
جبالٌ أنادي فآتي وتأتي
.....
وغافلني تَعَبٌ فغفوتُ

وقالَ لي الحُلْمُ: هلْ يتعبُ الحُلْمُ
قلتُ: ذُبِحْتُ
أطلَّ ليَ الموتُ
من أنتَ.. قُلتُ؟!
فقالَ: أنا الآن أنتْ.
وقبلَ دُنوِّ خُطاهُ أنتصَبْتْ

- ★ -

إنها شهوةُ الحربِ تتقدُ
أَتكونُ المنافي.. ولي بَلَدُ

- ★ -

....
وقاتلتُ فيكَ الحِجابَ
ولغزَ البدايةِ
قاتلتُ فيكَ غموضَ الحكايةِ

قاتلتُ بردَ الأصابعِ هدأتَهَا
وَتَفَتَّتَ تُفاحةِ الوقتِ
قاتلتُ صمتَ خطاكَ على عتباتي
وقاتلتُ ذاتي
لأرى جسدي عالياً
وضلوعي قَصيَّةْ
وقاتلتُ نرجسةَ السرمديةْ
وناديتُ: قابيلُ.. أين أَخوكْ
قالَ: لم أَكُ حارِسَهُ
وتصاعدَ صوتُ دمٍ في البراري
فناديتُ: قابيلُ لُمْ اخاكَ
ولملمْ نِصالَ الحجارةِ من دمهِ
وأسمهِ
كيفَ عَلَّقْتَنا في السَّوادْ

وأدخلتَ ذاكَ الغرابَ الى بيتِنا
ليشاركنا خبزَ أطفالنا
حضنَ زوجاتِنا
مصرُ كانتْ لنا
مصرُ كانتْ لنا
وغُرابُ السلامِ على بابنا
جاءنا ظُلمةً ترتدي هدأةً
وتُعلِّمُنا
كيفَ نطوي الشوارعَ في القبرِ ليلاً
ونمضي صباحاً لأكفاننا
واقفٌ في المدى عتمةً.. واقفٌ
وجهُ هذا الغرابْ
لا يُعلِّمُنا ان نُوارِيَ موتًا
يُعلمُنا أن نواري الحياةْ

.. قابيلُ دع جثةَ الموتِ عاريةً كي نراهْ
ونسددَ أزهارَنا نحوَهُ
لنردَّ الطُّغاهْ
فلا نطلبُ الانَ مغفرةً
بعد «صبرا»، انطفَتْ هيبةُ وإلهْ
ولنْ نَركَعَ الان إن الصلاةْ
تمردتِ اليومَ
وابتكرتْ شرفةً للقتيلِ
وللصمتِ أُنشوطَةً في الفَلاةْ
وابتكرتْ جمرةً للمياه
فدع جُثةَ الموتِ عاريةً كي نراه
ونُقاتِلَهُ في القيودِ
نقاتِلهُ في انصياعِ الجنودِ
نقاتله في الاذاعاتِ

في الانقلاباتِ
في هيئةِ الأُممِ.. البرلماناتِ
فيما يقول لنا الجنرالُ
وما يتراجعُ عنهُ السؤالُ
وفيما تُخبىءُ جهراً يداهْ
ودعْ جثةَ الموتِ
دعْ جثةَ الموتِ عاريةً كي نراهْ

- ★ -

كانَ عمريَ جِمْلاً وكُنتُ خُطاهْ
وكانَ دمي غائماً في رؤاهْ
كانَ عمريَ
جِملاً
وكُنتُ خطاه

- ★ -



تَجرَّدتُ من سنواتي
عبرتُ الزمانَ
وقلتُ: لِيَ الآن كلُّ حياتي
تجرَّدتُ من سنواتي
ذراعيَ أبيضُ
صدريَ أبيضُ
روحي بيضاءُ
إسمي.. دمي
ظليَ الآن أبيضُ..
صمتي.. وانشودتي.. كلماتي
وقلتُ لِيَ الآن كلٌّ حياتي!!
التواريخُ أخمدتُها في دمائي
الدقائقُ مطفأةٌ
يافعٌ اولُ العشبِ فيَّ

ومُشرِقةٌ ظلماتي
حافلٌ مهرجانُ السواحلِ
طائرةٌ خطواتي
وشفافةٌ كالرؤى أغنياتي
سأُغلقُ ابوابَك الآن
أَسحَبُ ما كنتُ أَسْلَمْتُهُ ليديك
وثيرانِك القاتلاتِ
وأَطلقُ ما شاءَ لي سيدي الحبُّ من طلقاتِ
لينهارَ فيكَ الظلامُ
وتَبزُغَ أَقمارُ ذاتي
الشوارعُ بيضاءُ تركضُ
والبحرُ أبيضُ
صافيةٌ صحوَتي.. وسُباتي
فلا شيَ يحكُمني الانَ فيكَ

تجرَّدتُ يا موتُ من سنواتي!!

.....

ولم يكُ بيني وبينَ الذي قُلْتُهُ
غيرُ فوضى الحَمامِ
التي أيقظتْ هداةَ الشرفاتِ
رأيتكَ تَصعدُ حقلي فيذبُلُ
تَصعدُ ماءَ الينابيعِ يَرحَلُ
تصعدُ زهرَ البنفسجِ يجفلُ
تَصعدُ أحجارَ بيتي..
تفارقني عتباتي
قلتُ: لا تئد الوقتَ فيَّ.. أنا خارجَ الوقتِ
خارجَ ظلِّ الجنودِ
وخارجَ رمحِ الطغاةِ
تَقدَّمَ.. لا ليسَ نحوي ونحوي

فشاهدتُ أولى الدقائقِ تَسوَدُّ
واجتاحَ عرسَ كُرومي
وعمَّ خريفٌ طويلٌ غُصوني
توارَدَ رَعدٌ
وعمَّ الجهاتِ
قالَ: ما جئتكَ الآن كيْ اقبضَ الروحَ
أو أملأَ الكأسَ من دمكَ الزهرِ
حتى تفيضَ سَواداً على كتفيَّ صفاتي.
فلتكنْ روحَ هذا البياضِ إذنْ
فلتكنْ روح هذا البياضْ
ولكنني أشربُ اليومَ ما أخضرَّ حولكَ مِن
مطرٍ
وأغانٍ... واسحبُ زيتونةَ الروحِ
من شَعرِها للجفافِ...

وأطفىءُ عشبَ الضفافِ،
هنا وهنالكَ.. عشبَ الضفافِ
قلتُ: حقليَ هذا
فقالَ: فَلاتي!!
وشاهدتُ قربيَ بعضَ رُفاتي
نهضتُ وناديت:
فليكنِ السهلُ قمحاً
وهذي التلالُ شَجرْ
ولتكن الريحُ سفحاً
لاقطفَ هذا الثَّمرْ
وليكن البحرُ عُرساً
ولونُ الفَراشِ وتَرْ
وليكنِ الحلمُ بيتاً
وبعضُ المُقامِ سَفرْ

سفرْ...

فاخضرتِ الأرضُ ثانيةً

وشاهدتُ «بَدراً» يُغادرُ أكفانَهُ وهو يُنشِدُ

ملءَ الفضاءِ.. :

مَطــرْ

مَطــرْ

مَطــرْ

- ★ -

نُلاقيكَ فلتتقدمْ إذنْ...

ونناديكَ: ها نحنُ دوماً هنا

فمن أيِّ زاويةٍ سوفَ تَخرُجُ ريحاً علينا

وتَقلَعُنا؟

أتغافِلُنا؟

وكلُّ الجهاتِ منازلُنا

ولو شاءَ جلجامشُ البـابليُّ لردَّكَ عن روحهِ
وحدَها
ولكنَّه عادَ بالعشبِ عادَ لنا كلّنا
غَافَلَتْهُ الرؤى لحظَةً إذ رأى الموتَ يَهزمُ
«أورَ» بأكملِنا
ولكنَّ طيبةَ آبائنا..
فيهِ ما أبصرتْ غيرَ زُغبِ الحواصلِ
ما أبصرتْ غيرَ اكفانِنا
هذا صدى «أورَ» في روحنا
«ويَغْبَدُ» تخضرُّ داخلَنا
«وعكا» تردُّ الغزاةَ هناكَ بسيفٍ من الموجِ
أو ضِلْعنا
«وبيروتُ» تَخفِقُ في صدرنا
ولو خُيِّرَتْ شَهوةُ الليلِ فيكَ

لوزعتَنا.. في رؤوسِ الجبالِ
هنا وهنالكَ
أشلاءَ أشلاءَ
لا شيءَ فيها يُشابهُنا
كأنكَ إذ تَقطِفُ العمرَ تَخشى مقابِرَنا!!
فتبتكرُ الغُربَةَ
الهجرةَ
الفلواتِ
المنافي.. القيودَ
حرابَ الجنودِ
انشطارَ القذيفةِ
«نيرونَ.. شارونَ»
كِذْبَ الصحيفةِ.. حُكَّامَنا
ولكننا نُنشِدُ الآن

نحنُ هنا كلُّنا
تجيءُ الينا وتحملُنا جثثاً
واحداً
واحداً
واحداً
واحداً
ونَحملُ منكَ الى قَبرنا
ما اقتطعتَ من القلبِ
نحملُ منكَ الكثيرَ
لانّا هُنا «النَّحنُ»
لكنكَ «الأَنتَ»
وحدكَ تمضي
تُوزعُ جسمَكَ فينا
وتَدفِنُ غربانَ عمركَ فينا

نموتُ.. وما زالتَ تنتَجِرُ.
ونحيا.. وما زالتَ تنتَحرُ.
ونملأُ هذي البراري غناءً.. صغاراً
ويملؤنا المطرُ
بلاداً وقمحاً مواسمَ عشقٍ طويلٍ
ويتبَعُنا القمرُ.
إلى ساحةِ الرقصِ حيثُ الظّباءُ هنالكَ
تعلو.. وتنحدرُ
وما زالتَ تمضي وحيداً بعيداً إلى جثةٍ
وفيما تَبقّى لها من دقائقَ تنتحرُ
ويخرجُ طفل الى ساحةِ الحُبِّ من صفحاتِ
كتابِ القراءةِ
أو في النشيدِ ويَصرُخُ في الأرضِ أين
طغاتُكَ، يأتي الصدى ها هنا أنكسروا

ونبصرُ ليمونةَ الخوفِ فيكَ تذوبُ
وتصفَرُّ.. تنفَجِرُ
وتَنحَلُّ تنحَلُ.. تندَثرُ
كلما أَنشدتْ طفلةٌ في الطريقِ إلى المدرسَةْ:
ضوءُ قلبي «دلالُ» و «لينا»
وصوتُ دمي «عمرُ»
ونَبقَى..
ونصعدُ أحزانَنَا وأناشيدَنا
وتُغافِلُنا ثمَّ تَنَسلُّ سِرّاً
وجَهراً الينا وتَنتَحِرُ
.. نَموتُ.. وما زلتَ تَنتَحِرُ
ونحيا وما زلتَ تَنتحرُ

ايار ـ حزيران ١٩٨٧

الفهرس

- صدر للشاعر

- الخيول على مشارف المدينة
- المطر في الداخل
- اناشيد الصباح
- نعمان يسترد لونه
- الفتى النهر والجنرال
- عواصف القلب

رواية

- براري الحُمّى
- غَـــوْ
- الامواج البرية.. سيناريو الانتفاضة

حطب أخضر

فِي الترابِ كلامٌ كثيرٌ عن البيتِ
والبحر
والشرفَاتِ البعيدةْ
يَفِرُّ من الحبرِ
كي لا نُقيمَ حَدائقَنا في المطابعِ
أو في صقيعِ الجريدةْ
كلامٌ سيمضي بنا حيثما
شاء وجهُ القصيدةْ
كلامٌ سَنُنْشِدُهُ ملأَنا
وسَيُنْشِدُنا
حينَ نلقاهُ ما بعدَ قاتِلنا

دار الشروق للنشر والتوزيع